روايات عبير



اليزابيث غراهام

منارة في الأنواء

hindа70

www.liilas.com

١٨٤

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 184

منارة في الأنواء

يهرب الانسان من مكان... من انسان... ولكن كيف يهرب من نفسه والى أين؟

سالي براون مسحت خيوط العنكبوت عن رفوف الماضي، وسافرت الى جزيرة روك لتتم كتابة مقال مسلسل عن المنارات في شمال المحيط الهادىء. كانت على موعد مع حارس المنارة جون هيمنغ، ولكنها عندما وصلت التقت بأخيه لايل... دون جوان كلية الآداب...

اضطرت سالي للاستماع الى لايل في كل ما قاله عن الحياة والعلاقات، وعن آرائه في مختلف الشؤون والقضايا الاجتماعية. وكان كل ما نطق به هذا المعتز بنفسه مخالفاً لنظرتها مما دفعها للنفور منه، واستعجال انهاء المهمة التي اتت من اجلها. العاصفة الهوجاء التي ضربت اطراف الجزيرة حجزت سالي بالقوة مع لايل وحيدة.

لم تخف من العاصفة بقدر ما خافت من وجودها تحت سقف واحد مع الدون جوان لايل هيمنغ الذي تحول الى انواء داخل المنارة!

لبنان	١٠ ل.ل	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	١٠ ل.س	الامارات	١٢ د	تونس	١٫٥٠٠ د	U.K.	£ 150
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١٫٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
المغرب	٥٠٠ ف	قطر	١٢ ر	[illegible]	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١٫٥٠٠ ر	[illegible]	٢٠٠ ق	Cyprus	P 1.500

١- رجل لا ينسى الجرح

خرجت سالي براون الصحفية في مجلة «اليوم والأمس» المصوّرة من غرفة مكتبها التي تثير الضحك كونها تشبه الى حد كبير علبة صغيرة مكعبة الشكل. وما ان اجتازت قسم الطباعة في المجلة، حتى ملأ اذنيها رنين معادن أحرف الآلات الطابعة السريعة.

لم تؤمّن المجلة التي تأسست منذ عامين فقط، الرفاهية المطلوبة لمصوريها الصحفيين. فالمدير العام نفسه إيفن جيري بيلهام يحتل غرفة لا تتجاوز ستة أقدام، تطل على قلب مدينة سياتل ليس التجاري.

لم تكن سالي الصحفية خرّيجة الجامعة، تصبو الى العيش في بيئة مترفة بل كان اهتمامها منصباً على تكوين مستقبل لها. سرت جداً

عندما اختارها جيري ضمن أعضاء المجلة الجديدة، ولم يخف عنها انه فعل ذلك على الرغم من خبرتها القليلة، بمرتب أقل من مرتب أية مراسلة صحفية أخرى ذات خبرة. لكن تصميمها خلال أيام الدراسة، بأن تغدو يوماً ما صحفية ذائعة الصيت، دفعها الى قبول عرض جيري لأن العمل معه سيفتح لها باب المستقبل المهني المشرق على مصراعيه.

دخلت سالي غرفة جيري بعدما قرعت الباب بلطف، متخطية سكرتيرته الأنيقة. نظرت حول الغرفة التي زينت جدرانها بأعداد قديمة من المجلة ذاتها، وبصور فوتوغرافية مكبّرة لمشاهير من المواطنين. ثم جلست الى مكتب الرئيس الذي يعج بالفوضى.

كان جيري مدير المجلة، المتوقع له النجاح، مربوع القامة، ذا شعر أشقر، يرتدي ثياباً جيدة الخياطة، وقميصاً نظيفاً مكوياً، وربطة عنق عقدت باتقان.

أدركت سالي انه رجل ذو جاذبية خاصة، وان السيدات يرتمين في أحضانه دون النظر الى اية معايير أخلاقية. لكن اندفاع سالي للعمل معه، دغدغ احساسه، وأيقظ شعوراً يحبها على الرغم من ثقته بأنها ليست ذات جمال أخاذ، بل تتمتع بثقة كبيرة بنفسها، يعكسها شعرها البني المنسدل على كتفيها، وبريق عينيها الخضراوين، وأناقة جسمها الرشيق.

قالت محيية جيري بصوت أبحّ ذي جاذبية لا شعورية:

ـ طلبت مقابلتي أليس كذلك؟

ـ أجل! أرغب دوماً في رؤيتك يا سالي، وأنت تعرفين ذلك.

أشار اليها ان تجلس على مقعد الى يساره، ففعلت مسترخية، محاولة التهرب من نظرات عينيه الزرقاوين اللتين يسيطر اشعاعهما على المرء دون ارادة، فأخذت تملس تنورتها البيج فوق ركبتيها. انها تكره تلك السيطرة التي جعلت زوجات القرون الوسطى عبدات لأزواجهن، وتفضل رجلاً يثق برجولته تماماً، كما تثق هي بأنوثتها.

وفي أي حال فان جيري ليس من النوع الذي تفضله.

أجابت بهدوء:

ـ وأنت تعلم أنني التي تداعك دوماً من أجل العمل.

نظر اليها نظرة استغلال، وقال بصوت ملؤه الحماس:

ـ من أجل العمل! حسناً! ما رأيك ان تجري مقابلة مع رئيس تويين أوكس الذي سمح لنا بحضور الحفل السنوي الذي يقيمه قبل أعياد الميلاد. ولعل اجراء مقابلتين معه قبل ذاك الحفل، سيعرّفنا على أسرته الشهيرة في تاريخ واشنطن منذ أن بدأ رائداً الى ان أصبح رئيساً للولاية.

نظرت سالي اليه وكأنها لا تعي ما يقول.

ـ وكيف لي ان أقوم بهذه المهمة وما زلت في منتصف أبحاثي التي تتعلق بالمنارات؟ وعليّ انجازها من أجل العدد الذي يوافق صدوره في عيد الميلاد.

ـ تتمسكين بعمل المنارات! ألا تقدّرين ما معنى اللقاء مع ناكم؟ هذه المقابلات أهم من أبحاثك تلك.

أجابته بعناد:

ـ من وجهة نظرك أنت. أما أنا فأصرّ على انهاء ابحاثي اذ قضيت شهرين وأنا أتنقل بين المنارات حول الشواطىء المحيطة بنا، وأمضيت زمناً مع عائلات الأشخاص المسؤولين عنها، ودرست ما يعترضهم من مشاكل. اضافة الى ذلك، أصبحت على وشك الانتهاء، ولم يبق أمامي إلاّ زيارة المنارة الأخيرة.

ـ ومتى قررت زيارتها؟

ـ في الخامس عشر من تشرين الثاني.

أجابته وهي تصر اسنانها غضباً، لأن عملها وما تبقى من انجازه ذو أهمية بالغة بالنسبة اليها حيث زارت المنارات على طول شاطىء ولاية واشنطن، ولم يبق لديها إلاّ القليل الذي يضفي أهمية كبيرة على موضوعها.

تابعت كلامها قائلة:

- ان زيارتي لتلك المنارة القابعة على صخرة معزولة من ولايتنا مهمة جداً، سأزور العائلة التي تهتم بالمنارة، والتي مضى عليها أربعون عاماً، وهي تمارس مهنة توارثها ابن تلك العائلة عن أبيه، وتسلّم المنارة عقب الحرب العالمية الثانية.

استوى جيري في كرسيه، ونظر اليها من زاوية عينه وقال:

- ان موضوعك يا سالي مهمّ، ولكن زيارة الحاكم ذات أهمية أكبر. وبامكانك انجاز الأمرين معاً. تزورين الحاكم وعائلته قبل ذهابك الى المنارة في الخامس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) وبعدها تمضين لقضاء مشروعك في المنارة على أن تعودي قبل موعد الحفل الذي سيقيمه الحاكم في الثالث والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر).

أدركت سالي على الفور ان جيري أجّل تسليم موضوعها الى المجلة الى أقصى حد ممكن، قبل موعد صدورها المحدد.

مضت سالي الى القسم المخصص لها، وهي بعد غاضبة. كانت قد شعرت بمدى أهمية موضوع المنارات منذ ثلاثة أسابيع حين احتكت بعائلات عاملين في المنارات الباقية، واستفسرت عن الأسباب التي دعتهم الى العيش معزولين عن العالم. وهذا الموضوع وسّع آفاقها، وأكسبها نظرة جديدة الى الحياة، وأدركت ان أحوال تلك العائلات المعيشية، تختلف عن حالها هي، حيث ترعرعت في وسط مجتمع متمدن. كما لاحظت ان لبعض الأشخاص شخصية قوية تمكنهم من قضاء ساعات الوحدة الطويلة اذ لا يتاح لهم سوى رؤية أضواء سفن تقف آمنة على شاطىء القناة، مهتدية بضوء المنارة التي يحرص حارسها على ان يتركه متلألئاً.

لم يبق لسالي سوى زيارة منارة جزيرة روك وهي الأكثر أهمية في سلسلة المنارات التي تميّز شاطىء ولاية واشنطن، وستمضي في هذه الجزيرة المعزولة تماماً، عدة أيام مع انها لم تمكث المدة ذاتها لدى

المنارات الأخرى. وبما أنها قضت أياماً لطيفة في تجوالها، وتعرّفت على العائلات المقيمة في محطات المنارات الأخرى، فلم تراودها هذه المرة أية مخاوف من قضاء وقت أطول في جزيرة روك بصحبة أسرة هيمينغ.

استوت في كرسيها تفكر بمعارفها من أسرة هيمينغ. تذكرت لايل هيمينغ أحد أعضاء الهيئة التدريسية في قسم اللغة الانكليزية في الجامعة، وهو رجل طويل بوجه نحيل، وشعر أسود، وجاذبية كبيرة تزيد من خفقان قلوب تلميذاته الى حدّ لا يوصف.

لم تكن سالي تلميذته يوماً، ولكنه كان أشهر من نار على علم، فهو لا يخفى عن أية فتاة في الحرم الجامعي لاسيما وانه لا يتورط في أية مشاكل محلية، وجميع تلميذاته يفتتن به لكونه أعزب. الا ان الشائعات الرائجة طولاً وعرضاً في الجامعة، تقول بأنه يميل الى الفتيات الناضجات. وتأكدت سالي من هذه الاشاعة، عندما رأته وهي بصحبة والديها في نادي هارفي يجلس مع فتاة شقراء مفعمة بالقوة والنشاط. ولكنها لن تنسى منظر الاستاذ الذي حاول الا يظهر تعلقه بتلك الفتاة الشقراء، فكلما مالت نحوه ابتعد عنها. تلاشت هذه الذكريات عندما فتح جيري الباب، ودخل الى الغرفة بنشاط، وقال بصوت فائز:

- لقد تمّ ترتيب جميع الأمور. انك مدعوة الى الجلسة العائلية في بيت الحاكم، كما انك ستزورين جميع أرجاء المنزل في العاشر من الشهر.

ارتجفت رموش عينيها وأجابت:

- اذن ما زلت مصراً على اجراء المقابلة!

نفذ صبر جيري ورد قائلاً:

- وهل هنالك أهم من ذاك اللقاء؟ أستطيع ان أعهد بموضوع المنارة الى شخص آخر اذا أردت.

قطعته بسرعة:

- لا أستطيع القيام بكل تلك الأمور.
- هل تريدين اصطحاب المصوّر معك؟
- لا (نظرت اليه بسخط. . .) انني أصوّر المشاهد التي أريدها بنفسي، وأنت تعلم ذلك.
- بالتأكيد. ولكنني سأعيّن لهذه المهمة الخاصة السيد ديف فيشر فهو يتقن عمله.
- وهل يعني هذا أنني لا أتقن عملي؟
- لم اقل ذلك. ولكنني أرى ان يرافقك ديف.

لم تشأ سالي ان تعارضه الرأي، فهزّت كتفيها عندما خرج من الغرفة. حسنا ان ديف انسان لطيف يتقن مهنته تمام الاتقان على الرغم من صغر سنه. وستسرّ ان يشاركها العمل في موضوع زيارة الحاكم.

ذهبت سالي ومعها ديف الى بيت الحاكم، وافتتحت زوجه الحديث بلطف يشوبه الحماس وقالت:

- هذا الحفل الخيري من أعمال زوجة ناثانيل. فبينما انهمك الحاكم في مهماته وسط غابات تريبت قامت زوجه إميلي بأعمال معينة في الضاحية، وأسست ما تسميه «النظرة الاخلاقية» التي ما زالت المعايير تستند اليها حتى الآن. كانت حياتها مثلاً يحتذى به، ورغبت في ان يفعل مثلها الجميع.

همست سالي في سرها وهي تسمع الحديث: اجل. . . هذا صحيح. . . واخذت تتأمل اللوحة التي تتصدرها صورة تلك المرأة الرائدة مع زوجها، نظراتها باردة مينة كنظرات من لا يأبه لتفاهات الحياة الانسانية، وبدا الاختلاف لسالي واضحاً بين الزوجين. لكن سالي شعرت بالملل يزحف الى أعماقها. فهؤلاء الاشخاص لا يتمتعون بتلك الجاذبية التي يتمتع بها المقيمون في محطات المنارات، والذين لم تفسدهم الحضارة، وهم سعداء على الرغم من أحوال حياتهم المعيشية.

ها قد عاشت عائلة التريبت فترة طويلة . . ولكن ترى هل تمتعت بأية سعادة خلال وجودها؟ فنظرات اميلي لا تنم عن تلك السعادة.

بدأ ديف بتصوير المنزل العريق وسكانه، بينما انطلقت سالي بتفكيرها بعيداً عن هذا الجو، وأخذت تسجل في ذهنها بداية لموضوعها المتعلّق بتلك المنارة النائية على جزيرة روك المنقطعة تماماً عن متع الحياة العصرية، وكلها أمل ان تلتقي عائلة هيمينغ. بدأت الاسئلة تتزاحم في مخيلتها: ترى ما الذي دفع قرينة هيمينغ لأن تتخلّى عن مغريات الحياة المدنية، وتبقى مع زوجها وحيدة في ذلك المكان النائي. لا بد أنها تتميز عن باقي السيدات، وتشبه ازواج حراس المنارات اللواتي التقتهن سابقاً. ابتسمت سالي في سرّها، وسرعان ما شدّها الى الواقع صوت مضيفتها يدعوها الى الحديقة.

عادت سالي في المساء الى شقتها، ومضت الى الشرفة وبيدها فنجان قهوة. تأملت منظر مياه المحيط الهادىء الرمادية، وما زال تفكيرها منصبّاً على جزيرة روك. وفجأة تذكرت ان هذا الوقت من العام لا يصلح لزيارة تلك الجزيرة النائية عند ملتقى المحيط الهادىء بالمحيط الاطلسي. وكثيراً ما يخدع المحيط الهادىء باسمه الناس، فتهبّ عواصفه المدمرة وتهدد تلك المنارة. لكنها لن تخشاه. . . فهي سالي براون ابنة صاحب اليخت «الحماسي». وكم من مرة رافقت والدها في هذا المحيط، تطلق الشراع في السارية فوق يخته.

عانقت أفكارها أحلام رحلات البحر التي قضتها بصحبة والدها، حين كانت تلك الأيام تمثل ذروة حياتها السعيدة. فوالدها الطويل القامة الواثق من نفسه له تأثير كبير في حياتها، ولم يستطع أي رجل من الرجال ان يزاحم صورته المثالية لديها. كما لم تستطع أية امرأة ان تحتلّ مكانة أمها ستيلا براون التي احتلت لوحاتها، كل مكان في المدينة.

كما أن سالي ترعرعت في جوّ غير تقليدي، ساعدها على ان تغدو

امرأة واقعية، تعتمد على نفسها، وتتكيّف مع ما يواجهها في الحياة، وتتحمّل وجهات نظر الآخرين وان كانت مخالفة لرأيها. اضافة الى انها تمارس حريتها ضمن حدود رسمتها لنفسها، وتعتبر فتاة مستقلة. وتذكرت ان أحدهم قال ذات مرّة، وقد طلب يدها للزواج، أنها مستقلة تماماً. . . أجل انها تدرك هذه الحقيقة تماماً، وعلى رجل أحلامها أن يكون ذا صفات متميزة. فهي ترغب في رجل يفهم معنى حريتها، ويقرّ بها على الرغم من الحب الذي يربطها.

دخلت سالي الشرفة، واتجهت الى المطبخ المضاء بأشعة القمر، ونظرت الى طبق اللازانيا الايطالية تنضج بهدوء في الفرن، فتنهدت وأخرجت الطبق المحمّر وتمنت كعادتها ان يشاركها احد في طعامها ليتذوق طعم الثوم والبندورة والبهارات التي تذكرها بذوق الايطاليين الجنوبيين. التهمت الطبق الكافي لشخصين، وشعور الوحدة يؤرقها.

مضت عدة أيام، ركبت بعدها احد القوارب متجهة الى جزيرة روك. لكن الامواج اخذت تتدافع بالقارب، وكأنها تحول دون وصولها الى تلك الجزيرة. سألت الرجل الذي يجذف القارب بدهشة:

- هل المحيط هائج هكذا على الدوام؟

وأخذت تتفقد أجهزة التصوير التي وضعتها الى جانبها خوفاً على عدساتها الحساسة من الماء المالح. جاءها الجواب عبر الموج الهائج:

- هذا الطقس لا يثير المخاوف. تعرّضت عدة مرات لطقس أسوأ (نظر متفقداً الغيوم في الأفق الرمادي بعينين تفوق زرقتهما زرقة البحر وتابع) انظري الى هذه الغيوم فانها تنذر بريح مصحوبة بالمطر. لقد أخبرتني ان عائلة هيمينغ تنتظرك. أليس كذلك؟

- أجل.

كانت تتوق شوقاً للوصول الى تلك الصخور التي تحطمت فوقها رياح العاصفة، وشعرت ان زيارة المنارة الثانية ستكون خاتمة المطاف

محفوفة بالمخاطر. وتمنت ان يدرك رئيسها جيري فلنت. لكن مخاوفها ماتت في مهدها عندما ظهرت منارة روك، حقيقة واقعة، وبدت كحصن منيع يتوسط تلك الصخور، والأمواج تتلاطم فوقها.

أوقف الرجل القارب في ملاذ صخرة، بينما أخذت سالي تتأمل ارتفاع المبنى الذي يسمو فوقها فقد أطلت المنارة شامخة مهيبة فوق الصخرة الرمادية، البارزة، والأمواج الرمادية تتلاطم عند أقدامها.

انتظر الرجل هدأة الموج، ودفع سالي الى الرصيف الخشبي، ثم ألحق بها حقائبها. وما ان بدأ الرجل يدفع بقاربه عائداً، حتى شعرت سالي بوحدة قاتلة، فهتفت تنادي الرجل محاولة اختراق حجب الهواء غير أكيدة من أن الرجل يسمعها:

- اياك الا تعود يوم الخميس لتصطحبني؟

رفع الرجل يده محيياً بودّ، بينما اخذ القارب يستعد لمجابهة أمواج جديدة. نظرت سالي الى صف الصخور الثلثة المحيطة بالمنارة ذات الشارات الزاهية الألوان، فسيطر عليها لبرهة ذعر وهميّ لأنها لم تجد أحداً بانتظارها من عائلة هيمينغ، مع انهم على علم بقدومها. ترى اما راقبوا قدوم القارب الذي أقلها! أين اختفى اولئك الذين سيؤذي غيابهم صورة حرّاس المنارات الودودين الكرماء المسؤولين عن تلك الحصون؟

شعرت سالي بالبرد يسري بين أصابعها على الرغم من ارتدائها قفازها الصوفي، وأحسّت بالتعب فغيّرت موضع حقيبتها وآلات التصوير على كتفها. ومضت باتجاه السلم الذي يقود الى أعلى البناء، وهي تفكر بأنّ اللوم لا يقع على عائلة هيمينغ لعدم انتظارها، بل على الطقس الذي ساء وحال دون انتباه العائلة لرؤية القوارب الصغيرة مع ان ادارة المنارات تتطلب فطنة وحذراً حتى في هذه الأيام الزاخرة بالتقنية.

خطف الهواء أنفاسها وهي تتسلق السلم الصلب حتى أعلى المنارة. نظرت الى مياه الأمواج الهائجة بضراوة حول الصخور أو

المصطدمة بالدرج. فثارت مخاوفها... لا. لا. لا. يجب الا تدع المخاوف التي تكمن في لاوعي أي انسان، مهما كانت خبرته في الملاحة البحرية، ان تسيطر عليها في مثل هذه الظروف. ارتاحت سالي قليلاً وعاودت النظر الى الصخرة المنيعة، وتذكرت ان والدها نفسه قد يشعر بالذعر عندما يضطر لمواجهة المحيط المليء بالمفاجآت.

استخفت بنفسها لاثارة تلك المخاوف في أعماقها. واطمأنت الى ان المخاوف نفسها لا بد ان هاجمت سكان المنارة مرّات عديدة.

نظرت الى السلم الذي أمامها، وكأنها على ثقة من ان وجود عائلة هيمينغ في تلك المنارة على هذه الجزيرة النائية، كفيل بازالة مخاوفها، ومؤشر لصمود المنارة الحصينة ضد هجمات الطبيعة.

وصلت الى اعلى السلم، وصيحات الريح تصمّ أذنيها. واخيراً حمدت الله انها أدركت مدخل المنارة. وما ان بدأت مخاوفها تتلاشى حتى سمعت صوتاً أجشّ يقول من بعيد:

- بحق السماء... من أنت؟ وما الذي جاء بك الى هنا؟

زال زهوها بالانتصار اذ لم يرحّب الصوت بوجودها على عكس ما ظنت.

حدقت بغموض في هيئته التي تشبه هيئة محارب ما أطلّ عليها من فوق. ارتدى الرجل جزمة جلدية عالية الكعب زادت من طول قامته، وسروالاً من الصوف، وسترة من النايلون التي تلفّ منكبيه العريضين. اما وجهه، ذو الفكين الصلبين، الملائمين لقسوة الصخور المحيطة به، فقد أجفلها واشعرها باحساس كاد يخدّرها.

انه... انه الاستاذ لايل هيمينغ استاذ اللغة الانكليزية الشهير، صاحب الاطلالة التي تخفق لها قلوب تلميذاته. ترى هل ستخفق قلوبهن له، لو استقبل احداهن بهذا الجفاء؟ وسرعان ما دعاها وجود الاستاذ لايل هنا بدلاً من حارس المنارة الى التساؤل: ترى ما الذي دفعه الى البقاء في هذا الشاطىء المهجور الذي لا يمتّ الى عالمه الأدبي بأية صلة؟

قالت والدهشة واضحة في نبرتها، وأنفاسها تتهدج من صعود السلم:

- انني مندوبة عن صحيفة «اليوم والأمس المصورة» وأريد مقابلة السيد هيمينغ وعائلته.

ارتسمت الدهشة على جبينه، لكنها تابعت:

- انهم ينتظرون قدومي، فهل لك ان تصحبني اليهم؟ الوقوف هنا مزعج، والريح هائجة.

أخذت الريح تعبث بسترتها الجلدية، وبخصل شعر لايل الأسود المتناثرة على جبينه العريض، وكأنها تنذره بأن الريح لا تطاق. أشار بيده الى منزل أبيض بني خلف المنارة المهيمنة على الصخرة وأجاب:

- حسناً! سأرافقك.

مشى نحو المنزل المحميّ بأعمدة المنارة، فتبعته غاضبة لأنه لم يساعدها في حمل الأشياء التي معها. مشت الى المنزل فوق الصخور التي شكلت ممراً متعرجاً. وكصحفية لفتت نظرها أشجار الصنوبر التي انتصبت فوق الممشى. وسرعان ما عادت الى الواقع وهي تشارف مدخلاً صغيراً يتقدمها لايل، فحاولت ربط الحقائق بعضها ببعض: ترى أما من رابط قرابة بين الأستاذ لايل هيمينغ، وجون هيمينغ المسؤول عن المنارة؟ وما الذي دفع لايل ان يأتي الى المنارة ولم ينته العام الدراسي بعد في حين يستطيع ان يمضي وقتاً طيباً بصحبة تلميذاته في فرع اللغة الانكليزية؟

انفرجت أساريرها عند وصولها الى المنزل، فخلعت سترتها، وأراحت كتفيها من عبء ما تحمله، ثم تبعته الى غرفة الجلوس الجميلة والنار تضطرم في الموقد، تنشر الدفء عبر أرجائها.

جلس لايل قرب المدفأة، متأملاً سالي بنظرات ثابتة، وعينين متوهجتين بتأثير النار، وقطع صوته حبل الصمت:

- اخي وزوجته يتوقعان قدومك، لكنهما اضطرا الى مغادرة المنارة، بسبب مرض أحد ابنائها.

- نعم، اخبرتها بموعد قدومي. أنا سالي براون وأعمل صحفية في مجلة (اليوم والأمس المصورة) واكتب مقالاً مسلسلاً عن المنارات. وأنا . . .

قاطعها لايل متسائلاً، متجاهلاً المعلومات التي اعطتها عن نفسها وقال:

- سالي براون! يبدو ان والديك لم يفكرا بخيال خصب عندما قررا تسميتك . . . سالي!

احتجت قائلة:

- خيال والديّ اخصب من خيال اي انسان اعرف.

اقتربت من المدفأة متحاشية الاقتراب من لايل الذي احتل المكان القريب من المدفأة. وتابعت:

- ان والديّ يتمتعان بخبرة عملية، فلم يثقلاني باسم كريه مثل كلاريسا أو روزماند لأن أمي تسرّ باسمها القصير ستيللا.

سألها وكأنه لا يصدق ما يسمع، ونظراته الثاقبة تتفحص جسمها المخفي تحت ثوبها الأخضر الفضفاض:

- ستيللا براون الرسامة الشهيرة!

اجابته وقد ضاقت ذرعاً اذ شعرت ان عليها ان تعرّفه بشهرة والدتها الذائعة الصيت:

- نعم ان ستيللا امي. وهي غنية عن التعريف، لأن اسمها يحتلّ مكانة مرموقة في عالم الفن الذي لا استطيع اقتحامه.

- اجل ان امك موهوبة. هكذا سمعت من النقاد حول اعمالها الفنية (وتابع بلهجة ساخرة) وماذا عن أبيك يا ترى؟ هل هو سعيد في كنف والدتك؟

غلى الاضطراب والانزعاج في عروقها، وأجابت وهي تتمنى ان تنسحب من الغرفة، احتجاجاً على كلام هذا الرجل الذي يثق بنفسه ثقة عمياء لأنه تولى التدريس في الجامعة منذ فترة طويلة:

- والدي ذو مكانة مرموقة، وقد منح عدة جوائز لانجازه مشاريع

عمرانية كبرى في سياتل.

ردّ بنظرة خاصة:

- أتعنين ان والدك المهندس جيسي براون؟ (وتابع متسائلاً) اذن انت مزيج من شخصين موهوبين.

تمالكت زمام غضبها، وكلمات الغضب تملأ فاها! وقالت مدافعة عن نفسها:

- هيئة محلفين، مثلاً، يمكنها ان تقوّم ان كنت ابنة لشخصين موهوبين ام لا . . . هل تسمح الآن ان أسألك ما الذي أتى بمدرّس اللغة الانكليزية الى هذا المكان النائي؟

- سأخبرك بعدما احضر الشاي (أجابها وهو يخرج من الغرفة متابعاً حديثه) هل تفضلين شراباً آخر؟ فان اخي يحتفظ للذواقين بمشروبات متنوعة.

- لا، اشكرك. أفضل الشاي.

خرج لايل من الغرفة، وهي تفكر بأن قليلاً من شراب بارد قد ينعشها، لأن ما رسمته في خيالها لعائلة هيمينغ، لم يتوافق مع الواقع الذي لمسته في منارة روك. استدارت في مكانها، ووقفت تتأمل الحطب المضطرم.

ادركت سالي ان لايل هو المسؤول عن المنارة اثناء غياب أخيه وزوجه. نظرت من النافذة وأيقنت ان الليل سيرخي سدوله خلال ساعة اخرى، وانها ستبقى محجوزة في هذا الحصن مع رجل لا تثق به لسبب ما.

أجالت الطرف في انحاء الغرفة، وتأملت اللوحات الرخيصة المعلقة على الجدران، والأوعية النحاسية التي يبدو ان أنامل امرأة حرمت من رفاهية الحياة وضعتها هناك. وفجأة اعتراها التساؤل: أما من شخص آخر أصغر من جون يساعده في حراسة المنارة النائية، يتدرب معه قبل ان يصبح مسؤولاً عن محطة خاصة به؟ ألا تستوجب ادارة المنارة جهد رجلين معاً؟

اطمأنت في سرها الى وجود شخص ثالث في المنارة. دخل لايل ومعه الشاي، فبدا لون شعره بنياً داكناً في توهج النيران حين انحنى ليضع الصينية فوق منضدة وضعت بين كرسيين بجوار المدفأة. قالت سالي وهي تنظر من النافذة:

- أشعر ان عليّ قضاء ليلة واحدة هنا على الأقل، اذ سأحصل عـ المعلومات من المساعد. فمتى سينتهي عمله؟

التقت نظراتها معاً، مما أيقظ داخلها رجفة شملت عمـ الفقري، فردّ عليها بهدوء:

- المساعد هنا امرأة، وذهبت مع زوجها ليكونا قرب ولدهـ المريض.

شعت نظرات سالي متأثرة بضوء النار، وحملقت بالأستاذ قائلة:

- هل تعني... (تلعثمت وتابعت) هل تعني ان المساعدة هي زوج اخيك؟

اجابها بعينين قاسيتين عبر المنضدة المنخفضة:

- اجل. لورنا مؤهلة لهذا العمل اذا احتاج الأمر.

ردّت سالي بانتقاد متسائلة:

- وماذا يحدث في مثل هذه الظروف؟ لا بد ان يعهد بهذا العمل الى شخص يتحمل المسؤولية.

- اجل. لقد عهد بالعمل الى شخص مسؤول (انحنى لايل ليتناول فنجان الشاي وتابع) لا تنسي انني ترعرعت في المنارة، وأعرف خفايا هذه الصخرة المنسية، وأنا أحسن التصرف في الظروف العادية، كما اثق بخبرتي عندما تقرر الأنواء العبث بالصخرة. ما بك يا آنسة براون؟ أتخشين أن أدع الضباب يبتلعك؟

- لا أرى ضباباً (أجابت بعصبية ونظرت من النافذة كي تؤكد ذلك لنفسها فلا يفزعها تحلق الغيوم الرمادية حول الصخرة. وأردفت متوترة) سأعود أدراجي في الصباح، وسأجري مقابلة مع اخيك وزوجه في وقت آخر.

- لن تتمكني من العودة قبل مرور أسبوع تقريباً.

ويدأ يصب الشاي الذهبيّ اللون في قدحيهما.

- أسبوع؟

وفجأة تراءت لسالي صورة جيري رئيسها وهي تخبره بعدم تمكنها من حضور الاجتماع في منزل الحاكم فتابعت:

- لا. لا استطيع، فعليّ انجاز مهمة اخرى قبل هذا الموعد بكثير.

اجابها بهدوء وهو يقدّم لها الشاي كما ارادته دون سكر او حليب:

- ما باليد حيلة.

جلست سالي في كرسي قدمه لها لايل، وبدأت تحتسي الشاي محاولة تنظيم افكارها المضطربة. فمن المستحيل ان تبقى اسبوعاً مع لايل هيمينغ بمفردهما. ولكن ما العمل لو صحّت معلوماته عن الطقس؟ ليته كان جيري او ديف مثلاً، فلديهما على الأقل أحاديث مشتركة تتعلق بالعمل، ولو كان جيري سيستغل الموقف على طريقته لا بأس فستعامله بشكل عادي. اما ان تبقى مع لايل فهذا لم يخطر في بالها أبداً، كما انه كان خارج نطاق خبرتها. نظرت اليه من طرف الفنجان مؤكدة لنفسها انها تحتقره قليلاً، كما انه ليس من الطراز الذي يلائمها. تضرّج وجهها خجلاً عندما التقت نظراتها فقال مؤكداً وكأنه قرأ افكارها:

- اجل، يا سالي. ستحتجزين هنا مدة اسبوع كامل مع دون جوان كلية الأدب الانكليزي. فهل يثير هذا اية مخاوف لديك؟

لم تشهق سالي لسماع هذه الكلمات، بل شهقت لانه بدا عارفاً بأنها كانت في الجامعة منذ زمن، فأردفت:

- لم اعلم انك شعرت بوجودي في الجامعة، او انك انتبهت إليّ.

تلعثمت وبدت كأي طالبة من طالباته في الفرع، ولكن لم يكن بيدها حيلة.

- اجل. شعرت بوجودك (وقف ودسّ يديه في جيبي سرواله

ودار معرّضاً ظهره للنار وتابع) كنت الوحيدة بين طالبات الكلية، مصدر ازعاج لي. اعذريني لهذا الكلام.

نظر الى سالي ذات العينين المضطربتين، وارتسمت على وجهه ابتسامة خاصة وأردف:

- كان عليّ أن أدرك أنك تستعملين تحذيرات الدكتور جيفري بإبداع.

انفجرت سالي غاضبة وبنزق قالت:

- الدكتور جيفري يحسن التدريس، ومن مزاياه انه بلغ الستين، ومقتنع بزوجه التي تبلغ الأربعين.

- وكيف تتوقعين أن أتصرّف؟ هل تعتقدين انني مستعد للزواج من امرأة مرتبكة شاردة الذهن تكون سبب جنوني بعد ثلاثة أيام؟

فكّرت سالي بصمت: لعله على حق، فمن الصعب على شاب ذي مركز مرموق في الجامعة، ان يرتبط بقيود معيّنة، بينما تتملقه الطالبات.

أجابته مدافعة:

- ليست [illegible]ات كلهن مضطربات التفكير كما تدّعي. فمتى تجاوزن مرحـ[illegible] يتعلق بالمثل العليا يصبحن منطقيات وذكيات بالفطرة. [illegible] صادفت بين الفتيات اللواتي تعرفت اليهن واحدة ناضجة؟

- أجل. تعرّفت بي فتاة ذات أفكار معينة (وسرعان ما ارتسمت القسوة على وجهه، وقطب جبينه وكأنه شعر بأنه حر في نفسه من جديد. فعبر الحديث وتابع) سأصحبك الى غرفة النوم متى فرغت من شرب الشاي.

ثم سبقها الى الباب وسألها:

- هل تجيدين الطهي؟

- بالتأكيد.

وضعت سالي فنجانها على الصينية، ونظرت اليه بارتياب حيث

التفت نظراتها عبر الغرفة الصغيرة.

- أنا لا أجيد الطهي. وكي تتفادي تناول فاصولياء باردة معلبة، فبإمكانك استعمال ما تشائين من ثلاّجة لورنا. ليست لديّ أية خضار طازجة سوى البطاطا.

- فاجأتني باعترافك هذا، ظننت ان استاذ اللغة الانكليزية لامع في المجالات كلها.

لمعت في عينيه ضحكة أزالت تقطب جبينه وقال:

- لا لست كذلك.

لكن نبرة التأكيد في صوته، أقلقتها فتضرّجت وجنتاها. ترى لماذا تشعر برغبة في أن تحلّق بعيداً وتسمو عندما تلتقي به؟ ألأنها لا تستطيع الدوران في أفقه؟ فخبرتها وسرعة بديهتها لا تشكلان مثقال ذرة من خبرته وبديهته. سألته مقترحة:

- هل نصعد الآن؟

تحرّكت بعد وقفة قصيرة، فتبعته عبر المدخل الضيّق لتصعد السلّم خلفه، وتمنت ألا تعيره اهتماماً. وأدركت ان صديقتها لم يبالغن في وصف مفاتنه، فهو مزيج متكامل من الرجولة المطلقة والفكر اللامع.

كانت أبواب غرف النوم الأربع المؤدية الى الممرّ ذاته، مفتوحة على مصراعيها. أشار لايل الى غرفة نوم صغيرة جداً بسرير واحد، تواجه غرفة النوم الرئيسية... وتابع وكأنه يقرأ افكارها:

- انها صغيرة جداً، لذلك شغلت غرفة نوم أخي وزوجته. فالسرير المفرد لا يلائمني.

تخيّلت سالي قسراً عنها، غرفة نوم لايل في منزله الخاص في المدينة، فرأت سريراً واسعاً ذا غطاء من الفراء ثم هتفت:

- آه... حقيقي...

كان لايل يقف بالباب الضيق، فنظر اليها وفي عينيه مسحة سخرية وكأنه قرأ افكارها من جديد، فاستدركت الأمر وتابعت:

- أستطيع ان آتي بها اذا افسحت لي الطريق.

وليؤكد صورته التي لا تتبدّل في ذهنها، عقد لايل يديه على صدره وحلّق بها دون تفكير. وسرعان ما تذكرت سالي ان الرياح عصفت بشعرها، وان شفتيها جفتا دون مرطّب، ومنظرها بملابسها الفضفاضة غدا غير لائق، فسرى في داخلها احساس واضح بأنها وحدها مع رجل لعوب يقضي معظم أوقاته بصحبة الفتيات.

وعادت تتساءل في نفسها: ترى، لماذا اتت بمفردها الى هذا المكان؟ لم لم تدع جيري رئيسها يرسل رجلاً بدلاً منها؟ توضحت نبرة الذعر في صوتها اذ قالت:

- هل تفسح لي الطريق؟

أرخى يديه وقال:

- بالله عليك. لا تخافي مني. فليس من طبعي أبداً ان اقتحم غرفة امرأة. أؤكد لك ذلك مهما كانت نظرتك اليّ. سآتي بحقيبتك.

وما لبث ان سمعت صوت خطواته وهو يهبط السلم. ثم عاد لايل الى الغرفة، ولم يلاحظ الذعر المفاجىء الذي سيطر عليها، بل نظر اليها ببرود وقال:

- سأذهب الى البرج لأقوم ببعض التسجيلات. وسأعود بعدئذ لأحضر الطعام، وفي الغد ستقومين أنت بذلك.

تسمّرت سالي في مكانها وهي تسمع خطواته تهبط السلم ثانية. اختفت أصوات الخطوات وتبعها صوت الباب يغلق خلفه. لا بد أنها جرحته، لا بل ازعجته بمخاوفها، وتيقنت ان لايل هيمينغ لن ينسى ولن يغفر الجرح الذي طعن كبرياءه.

٢ ـ الخوف جلب العناق

مضت ساعة من الزمن، تنشقت سالي بعدها رائحة شهية تنطلق من الطابق الأسفل. نزلت السلم مترددة، ووقفت عند آخره تتأمل غرفة الجلوس الخاوية، والمزيد من الحطب يشتعل في الموقد. تناهى الى سمعها اصوات اطباق فخارية اكدت لها ان لايل موجود في المطبخ يحضر الطعام. مرت بيدها على شعرها الذي رتبته واتجهت نحو المطبخ.

فاجأها منظر الاستاذ وهو يتحرك في منزله بلا تكلف، مقطب الجبين، يتأمل المائدة ذات الغطاء الأحمر، وما وضعه من أطباق وكؤوس. ثم مشى الى الخزانة الخاصة بأدوات الطهي، وأخرج من الدرج مناديل رقيقة.

دخلت سالي المطبخ، وخيّل اليها ان عينيه تشعان اضطراباً فسألته:

- هل لي ان اساعدك؟

شملت نظراته وجهها النضر الذي لم يخل من بعض مساحيق التجميل، وثوبها الأخضر الذي يبرز رشاقة جسمها بوضوح اكثر من الثوب الذي كانت ترتديه عند قدومها. رد بجفاء:

- لا . . . حضرت كل شيء تقريباً اجلسي في غرفة الجلوس، وسأحضر لنا شراباً.

- ستحضر شراباً؟

نظرت الى المطبخ وهي تتأمل الموقد والثلاجة، وفتنت بسحر خزانة أدوات المطبخ الريفي.

اجابها ثانية بجفاء:

- اننا هنا نعيش كأهل المدينة (اتجه الى الخزانة واحضر الأكواب متابعاً) اتظنين اننا محرومون من متعة الحياة لأننا نعيش هنا بعزلة؟

- وهل قلت ذلك؟

- لا حاجة بك للقول، لأن تفكيرك ينعكس مباشرة على وجهك، واستطيع قراءته بسهولة. في كل حال لم التق قبل الآن امرأة تفضح ملامحها عما يجول في خاطرها.

صب قليلاً من الشراب وأردف:

- هل لنا ان نجلس في غرفة الجلوس؟

استدارت على كعبها، وهي تشعر بكراهية كبيرة لغطرسة هذا الرجل الساخرة. استشاطت غضباً، ودخلت الغرفة الصغيرة تفكر في سرها: لعل اندفاع طالباته نحوه، جعله يظن انه مهيمن على الجنس اللطيف بأكمله ثم استقرت في كرسيها. وتناولت منه قدح الشراب.

ساد الغرفة سكون مضطرب، وأخذت سالي تنظر الى ألسنة اللهب المتصاعدة في الموقد. وهي تدرك تماماً ان لابل ينظر اليها

بارتباك، لكنها وجهت نظراتها الى الموقد. وجاءها صوته مبدداً الصمت:

- آسف لما قلت. لم اقصد الاساءة اليك. اردت ان امدحك اذ ان الكثيرات يحاولن اخفاء ما يجول بأذهانهن. اما انت فلا تجدين ضرورة لاخفاء ذلك.

فاجأها بصراحته المطلقة، فتأملت عينيه اللامعتين، وشعره الأسود والخصلة التي علت جبينه. اعتراها شعور غامض اضعفها، وجعل انفاسها تختنق في حنجرتها اذ بدت ملامحه مألوفة لديها كأحد اعز اصدقائها، على الرغم من انها لم تتكلم معه قبل الآن.

- انا . . . (تنفست بارتياح وللأول مرة منذ دقائق وتابعت) لا يهم ما قصدت.

حاولت ان تغير دفة الحديث لتخفف من شعور عجيب خدّر ذهنها فسألته:

- ما الذي دفعك الى زيارة جزيرة روك خلال غياب اخيك، فالأمور ليست بهذه البساطة بالنسبة لأستاذ لم ينه عامه الدراسي بعد؟

- انني هنا منذ فصل الصيف.

حملقت سالي به دون ان تدرك ما عناه وسألته:

- اتقصد انك تركت التدريس في الجامعة؟

وضع ساقاً فوق الأخرى، ولاحظت سالي وللأول مرة انه ينتعل خفاً جلدياً، فأدركت ان من حقه كانسان ان يشعر بالارتياح في منزله. لكن تصرفاته اليومية في منزله لا تلائم صورته التي رسمتها له في مخيلتها كانسان لعوب يفوق الوصف.

تلاقت نظراتها ثانية عندما اخذا يتجاذبان اطراف الحديث وتابع:

- لا لم اترك الجامعة نهائياً، وغيابي عنها مؤقت، لأنني اقوم بعمل معين هنا، وقد قطعت شوطاً منه، ووصلت الى القسم الذي يتطلب عزلة تامة لا تتوفر لي الا في هذه الجزيرة.

زاحمتها التساؤلات: ترى هل يحضّر رسالة الدكتوراه؟ لا انه دكتور في الدراسات الانكليزية. اذن، لا بد انه يؤلف كتاباً حول احد الكتاب المشهورين.

ازال تساؤلاتها وكأنه يؤكد لها مرة اخرى انه قرأ افكارها:

- اقوم بتأليف رواية وقد انجزت قسماً كبيراً منها اثناء وجود لورنا وجون، اما الآن. . .

تنهد بأسف جعل سالي تحتد فقالت بعصبية:

- اذا كان وجودي سيؤخر عملك، فلا تهتم بي رجاء، وسأغادر حالما اجد مركباً يعود بي الى سياتل.

اجابها وكأن فكرة ذهابها لم ترق له:

- لا علاقة لك بالأمر. لكن ادارة المنارة تتطلب عملاً متواصلاً خلال الساعات الأربع والعشرين. ولا وقت عندئذ للتأليف، فأنا اسجل احوال الطقس الجوية في اوقات محددة، كما انني اكتب التقارير عن احوال الطقس في اوقات معينة.

اقتنعت سالي بقوله، ولكنها مع ذلك شعرت بذنب لاعاقته عن العمل فقالت:

- أستطيع مساعدتك اثناء وجودي هنا؟

انها تثق بنفسها وذكائها فهي خريجة جامعة، وتستطيع تسجيل الأحوال الجوية على آلات حديثة التقنية. وسرعان ما ماتت احلامها في مهدها، اذ حدد الأستاذ عملها بشكل لا يمت الى المنارة بصلة فقال:

- اجل! يمكنك اعداد الطعام، والاهتمام بالمنزل. وبهذا اتمكن من تنظيم وقتي بين المنارة والتأليف.

تلاشت الحيوية من عينيها عندما سمعت اقتراح الاستاذ، فعليها ان تتحمل اعباء ربة البيت، بينما يقوم هو بالأعمال المثيرة. نمّ صوتها عن تلاشي حماسها اذ قالت:

- لكنني لا احسن القيام بالاعمال المنزلية (حاولت ان تجد صدى كلامه نفسه عندما تحدث عن الطهي. وعلى ذكر الطعام، شعرت بالجوع وأردفت) سيفسد الطعام ان لم نتناوله الآن.

- لا لن يفسد لأن لورنا وضعته في الثلاجة قبل سفرها. (ثم نهض وبيده قدحه، ونظر اليها بارتباك متابعاً) اعتقد انك تشعرين بالجوع هلمي بنا.

- اجل. اذ تناولت فطوري باكراً في المدينة.

رد بلطف:

- ولن تتناولي فطوراً آخر هنالك قبل مضي مدة طويلة.

سرت قشعريرة في جسمها، وشعرت برجفة في اوصالها، فنظرت الى المدفأة وقالت بصوت لا ينم عن ثقتها بما تقول:

- ولكن الطقس تعدل بسرعة.

- لا. . . تعالي وانظري.

امسك ذراعها بأصابعه، فشعرت بقوته على الرغم من سترتها السميكة. جذبها الى النافذة وتابع:

- سيعلن الضباب غضبه في اية لحظة.

وكأن كلماته نمت عن تنبؤ قاطع، اذ ما لبث الريح ان زمجرت، مما جعلها تقفز بعصبية وتلتصق بالرجل الذي يقف امامها. وقد اتلفت اعصابها الأصوات العالية التي ملأت الغرفة، وكادت تعصف بالجدران، وكأنها صيحات تخرج من بين القبور، لتمزق سالي عاطفياً، وتوقظ في اعماقها فزعاً دفعها الى ان تتعلق دون مبالاة بجسم لايل الذي بعث الاطمئنان فيها.

- لا تخافي. . . (حاول ان يهدىء من روعها بكلماته، ويده الناعمة تدفع رأسها بلطف ليرتاح فوق كتفه، بينما راحت يده الأخرى تحيط بخصرها، وهمس بنعومة) ستعتادين على تلك العواصف.

هبّت الريح ثانية دون ان تزعج اذن سالي، اذ كانت محمية بسترة لايل السميكة، لكن ذلك لم يمنع سالي من ان ترتجف وهي بين يديه،

وفجأة تلاشى صوت الريح ليحل مكانه صوت آخر، انه صوت خفقان قلب لايل هيمينغ بنبضاته القوية المنتظمة التي اخذت تداعب مسامع سالي مستقرة في رأسها، ومحدثة في ذهنها الاضطراب والفوضى.

غل شعور جنوني في نفسها. ترى كم تمنى احدى طالباته ان تقف تلك الوقفة محاطة بذراعيه الناعمتين القويتين، وكم يتمتع هذا الجسم بقوة ورجولة داعبت احلام طالباته.

شعرت برأسه يميل نحوها، فرفعت ناظريها لتعانق نظراته غير آبهة لزئير العاصفة التي هبت للمرة الثالثة على التوالي. ايقظت نظراتها احساساً جديداً غمرها، فلم تقاوم اغراء الموقف، فأخذا يتبادلان العناق.

عاشت سالي هذه اللحظات من قبل، لكن ذاك الاحساس الممتع الذي غمرها به لايل لم يوقظه احد في اعماقها. استسلمت لعواطفها المتدفقة، وأخذت اصابعها تمسك بقوة بسترة لايل الصوفية. همس لايل في اذنها، وهو يدفعها بقوة جعلتها ترفرف عينيها وكأنها تشعر بدوار:

ـ دعينا الآن نتناول الطعام.

املت عليها الحاسة السادسة شعوراً بأن لايل يحاول تجنبها. لم تدر ما تفعل، فتبعته الى المطبخ حيث انحنى ليخرج الطعام من الفرن.

وزع لايل الطعام في طبقيهما، ثم قدم لها طبقها، وكأن شيئاً لم يحصل بينهما. فأيقنت ان ما حصل، لم يثر انتباهه طويلاً، اذ عادت تصرفاته الى طبيعتها عندما اشار اليها بحركته المعتادة ان تجلس على الكرسي الذي يقابله.

كان لما حدث بينهما اثر عميق في نفسها، لأنها ليست معتادة على لقاء عابر ما دامت تتمسك بمثاليات قد تكون بالية، ولكنها تعلمتها من اخلاص والديها احدهما للآخر. وقد لا يحمل مثل ذلك

الاخلاص، اي معنى لرجل مثل لايل هيمينغ سوى الملل والسأم.

امسكت بالشوكة دون خيار، وأخذت تلتهم قطع اللحم بنهم وحماس وقالت:

ـ يا لزوجة اخيك من طباخة ماهرة!

ـ لورنا! اجل انها كذلك.

سألته بحرية وقد تأثرت بشرابها ومعدتها الممتلئة:

ـ الا تشعر بحاجتك الى زوجة تعتني بك؟

ـ اترغبين في ملء ذاك الفراغ لأنني عانقتك؟

اجابها ببرودة وقد ترك شوكته على طبقه كي يحتسي قليلاً من شرابه، ثم امسك بالزجاجة ليصب مزيداً من الشراب لها. ورفع حاجبيه عندما هزت رأسها لا تريد المزيد. فأفرغ ما تبقى من الزجاجة في كأسه حتى حافتها وتابع:

ـ ما الذي حدث لك؟ اياك ان تظني ان ما حدث بيننا هو تتويج لأحلامك القرمزية بنهاية سعيدة معي. ثقي تماماً انني رجل لا يرغب في الزواج ابداً.

حدقت به برهة دون ان تتكلم ثم قالت:

ـ انك يا دكتور هيمينغ لا تروق لي مهما كانت افكارك، واذا تزوجت يوماً، فلن اختار رجلاً يتمتع بمثل صفاتك.

ـ حسناً. وأنا لست مؤهلاً نفسياً للزواج.

ـ لا تقلق يا استاذ (عضت على شفتها ساخرة) انك لا تعجبني كزوج، وفي الحقيقة انني احتقر امثالك من الرجال، ذاك النوع المغرور الذي يظن ان المرأة تحوم حوله لتنهل من مفاتنه.

فقدت شهيتها وسط هذا الاضطراب، ودفعت بطبقها ولما تأكل نصف الطعام، ولعظيم دهشتها لم يرد لايل على انفعالها بل قال ببرودة:

ـ انهي طعامك، فان الليل طويل وسيهاجمك الجوع. وأعتقد ان عليك ازالة الشكليات بيننا لأننا سنبقى معاً في هذه الجزيرة المعزولة

عدة ايام. لذا ارى ان تناديني لايل فقط.

- لايل! لا مستحيل.

شعرت وكأنها ما زالت في الحرم الجامعي، ولا تستطيع ان تدعوه لايل كما يتوقع وبتلك البساطة. يا له من اسم جميل ترنمت به تلميذاته، فأثار بين متعة كبيرة. انه اسم رائع يحمل معاني الرجولة التي يتمتع بها صاحبه. وكأن الله قد منح والديه بصيرة نافذة عند اختيار اسم ابنهما الذي غدا في شبابه فتى احلام كل فتاة تلتقيه في الصفوف المختلطة. لكن سالي على عكس غيرها من الفتيات، لا تكن له ذاك الشعور، وتفضل رجلا يتمتع بروح الفكاهة والتفهم اللذين يخففان من صعوبات الحياة التي قد تعترض طريقها كامرأة، وكشخص موجود في هذا العالم المتقلب. وفجأة عادت الى الواقع وردت قائلة:

- اشكرك. . . لكنني لا اعتقد انني سأمكث هنا مدة كبيرة فلا مبرر لازالة الشكليات بيننا فقد اعتدت ان. . .

قاطعها وقد عقد ما بين حاجبيه:

- بحق السماء. لماذا تتمسكين بتقاليد بالية، وقد اصبحنا شخصين ناضجين؟ (ثم تابع بسخرية) ان امي حذرتني من السيدات اللواتي يتمتعن بخبرة ما.

شعرت سالي بحاجة ماسة للكلام فردت:

- لا يهمني مدى التزامك بقول والدتك. وأنا على يقين انك تتمتع بحياتك بما فيه الكفاية.

عقد ما بين حاجبيه وأردف:

- لا شك انك تتمتعين بخيال خصب.

أدركت سالي ان طالباته اعتدن على رؤية العقدة على جبينه. لكن هذا لا يهمها ولن تخشى ذلك. بل احتفظت بكبريائها وردت مدافعة عن نفسها وهي تضغط على اسفل الكأس التي بيدها:

- اجل. ان عملي يتطلب ان يكون خيالي خصباً، على الرغم من

انني لا اؤلف روايات خيالية. وأعتقد انكم معشر الكتاب بحاجة الى خيال خصب اكثر من اية فئة اخرى من الناس. كما انني اعتقد انه لمن السهل ان يكتب الانسان عن موضوع قد يحدث يوماً بدلاً من ان ينسج موضوعاً لم ولن يحدث. ما الموضوع الذي تكتب عنه؟

- موضوع؟ عن اي شيء تتكلمين؟

- عن موضوع القصة التي تكتبها؟

- لا ارغب في التكلم عما اؤلف (قال ببساطة وهو يدفع كرسيه الى الخلف، متأملاً طبقها الذي لم ينته) هل انتهيت؟ آسف لأنني سأقدم لك الحلوى، اجاص مطلب دون قشدة.

فقالت كاذبة لأنها خشيت ان تسبب له المزيد من الازعاج لتكريمها بطبق الحلوى:

- انا لا اتناول الحلوى عادة بعد العشاء. اشكرك.

- اذن، ما رأيك بفنجان من القهوة؟

- حسناً. هل لي ان انظف الأطباق؟

- اذا شئت. وسأساعدك ريثما تغلي القهوة لأنني لا اهتم بالقهوة السريعة.

وبلا اي اعتراض، بدأت سالي بجمع الأطباق لتضعها في الحوض تحت النافذة، وهي تفكر ان معظم زميلاتها قد يقترحن ترك الأطباق في الحوض ليتم تنظيفها فيما بعد. وضعت سالي قليلا من سائل التنظيف، ثم ملأت الحوض بالماء الساخن، وبدأت بعملية التنظيف، بينما امسك لايل بقماش قطني، وأخذ ينشف الأطباق تباعاً.

سألته وهي تنظر اليه عندما التقط الصحن الثاني:

- هل انت منظم هكذا في منزلك في سياتل؟

- اجل (اجاب باخلاص) عندما يترعرع الانسان في منارة، يتعلم ان يكون منظماً دوماً.

- آه.

غمست يديها في الصابون، وتذكرت غرفتها المنظمة البسيطة، بل المنزل كله. وتذكرت ان الترتيب والنظام من شيم اهل المنارات، كما لمست ذلك بنفسها لا سيما في برج المنارة. ثم سألته متوقعة الا يرفض طلبها:

- هل لي ان ازور المنارة برفقتك؟

فوجئت بعقدة جبينه ثانية، ولكن الجواب جاء مطمئناً:

- غداً صباحاً ان شاء الله. اذ لا تستطيعين تمييز شيء عندما اقوم بتسجيلاتي الليلية.

- وكم مرة يتطلب عملك تسجيل المعلومات؟

- ثماني مرات في النهار والليل.

- اتعني انك تستيقظ ليلاً لاجراء ذلك؟

ضحك بجفاء اذ شعت عيناها الخضراوان بدهشة وقال:

- لدي منبه يوقظ الأموات من قبورهم.

اجابت، والاهتمام واضح في نبرتها، وقد رفعت رأسها اليه لتراه:

- معنى ذلك انك لا تنال قسطاً كافياً من الراحة.

- بالطبع. انا لا احب ان يستمر عملي على هذا النحو، ولكنني استطيع التكيف حتى يعود اخي.

- ومتى سيعود؟

هز كتفيه وتابع:

- زال الخطر عن الطفل الآن، واتوقع عودته مع زوجته متى سمح الطقس بذلك. اعتقد انهما لن يتمكنا من العودة قبل اسبوع على الأرجح.

نظر الى الحوض وتابع متسائلاً:

- هل ستتركين هذه الأشياء في الصابون؟ أم ستنهين هذه المهمة الآن؟

تضرجت وجنتا سالي من طريقته السريعة في الكلام، وامسكت

بالقدر، وبدأت تنظفها بسلك من النايلون. وسرعان ما سحبها الخيال بعيداً وهي تفكر ان الوقت لا يسمح له ان يعلمها الرموز لقراءة تسجيلاته عن الطقس. آه ليتها تعلمت ذلك في الماضي. لكن اهتمامها بنوم لايل المتقطع، ورغبتها في تعلم الرموز اثارا غضباً في اعماقها. لم تهتم بتلك الأمور مع ان بقاءها في الجزيرة مفروض عليها؟ كما فرض وجودها على لايل على الرغم من انها لا تعني له شيئاً. قد يغرم اي انسان غيره بفتاة في بقعة معزولة كجزيرة روك. ترى اتتمتع بشخصية مهلهلة لم يستسغها؟

شعرت بنظراته تلاحقها بدهشة عندما وضعت القدر بعنف فوق المكان المخصص له. تجاهلته ثم افرغت الوعاء البلاستيكي الأحمر، وغسلته بالماء. واخيراً نظفت الحوض. فما لبث ان قال بلا مبالاة:

- القهوة جاهزة، ادخلي الى غرفة الجلوس ريثما احضرها لك.

جففت يديها، وأعادت اكمام ثوبها حتى المعصم وردت بحدة:

- لا اريد ان تخدمني، بامكاني الاهتمام بنفسي.

- حسناً (اجابها بالحدة نفسها عما اثار جنونها اذ اشعرها ان لهجتها نمت عن لسانها السليط) ستتفق على ذلك في الغد. اما الآن...

واشار بيده الى الباب بحركات افصحت لها عما يريد. فمشت الى الباب بصمت.

دخلت الغرفة والدماء تغلي في عروقها غضباً، ولم تستطع هي نفسها ان تعرف ما يعتريها. انه يعاملها كشخص مزعج، مع انه بحاجة الى وجودها لتؤنس وحشته. انها لا تفهم هذه النوعية من الأشخاص. تابعت التفكير وهي تحدق بألسنة اللهب البرتقالية، وتذكرت عناق لايل قبل قليل بالقرب من النافذة.

اخذت تستعرض بذاكرتها تصرفاته المتعالية بعد تأجج احاسيسها، ففسرت تردده بأنها لم تنل ارضاء عواطفه المضطربة، فحاولت اقناع نفسها بأن شعورهما متبادل.

قطع لايل افكارها عندما دخل الغرفة وبيده صينية القهوة التي

احتوت على اقداح من الفخار الصيني، وابريق من الحليب والسكر وقال:

ـ سأتركك تصبين القهوة لنفسك. اما انا فسأشربها عندما اعود من برج المراقبة

سمعت اصوات خطواته وهو يبتعد، ثم توقف في المدخل ليأخذ سترته، وينتعل حذاء مطاطياً عالي الساق بدلاً من الخف. دفعها الفضول ان تنظر من النافذة، فراقبت الأضواء الكاشفة. وعندما اختفى الضوء، عادت الى كرسيها تشرب قهوتها.

شعرت بشوق للرياضة، كأن تمشي فوق الأعشاب، أو تتسلق احدى الهضاب. وفجر ذلك الاشتياق تساؤلاتها: ترى كيف يستطيع الاستاذ لايل ان يعيش هنا دون ممارسة رياضة معينة؟ لا بأس فان اقامته مؤقتة. ولكن كيف تتصرف عائلة هيمنغ، وهم يقضون عاماً كاملاً فوق الجزيرة، وآخر خارجها؟ وقررت ان تشير الى هذا الموضوع في تقريرها عن المنارات.

ذكرها هذا القرار بمؤلفات الاستاذ لايل. ترى ما هو موضوع كتابه؟ لم رفض ان يتكلم عنه؟ ربما يكتب عن مواضيع تجارية رخيصة التي تدر ارباحاً هائلة... لا مستحيل فهو دكتور في اللغة الانكليزية، ولن يمضي وقته بمثل هذه التفاهات. لا بد انه يقوم بانتاج عمل ادبي ذي قيمة فكرية لا يتقنه الا من امضى عمره في تدريس الأدب الذي يعشقه، وينقله الى اولئك الاشخاص الذين يتأثرون به.

نظرت الى النافذة الخالية من الستائر، فرأت غيوماً منخفضة تتسلل في السماء، يرافقها صوت مخيف اعتاد عليه سكان المنارة، لكنه مثير بالنسبة الى زائر جديد.

شعرت بسرور يعتريها عندما سمعت الباب الأمامي يصفع بهدوء معلناً عودة لايل الى المنزل. تمهل في المدخل ليخلع الملابس التي ارتداها قبل خروجه. ادركت انها كانت تنتظر عودته بفارغ الصبر، وطغى عليها شعور بالاشتياق دفعها الى الترحيب به عندما دخل الغرفة ووجنتاه محمرتان من البرد فقالت:

ـ سأصب لك قليلاً من القهوة.

قالتها بسرعة وهي ما زالت تسمع قلبها يخفق بجنون ولكن اضطرابها بدأ يتلاشى عندما اطمأنت لوجود لايل في الغرفة على الرغم من استمرار زئير الضباب في الخارج وأضافت:

ـ هل ترغب في اضافة الحليب أو السكر؟

شعرت سالي بأنه تردد قليلاً قبل ان يدخل الغرفة، لكنه مضى الى المدفأة، وجلس في مقعده الذي يقابل مقعدها، ومدد ساقيه باتجاه النار وأجاب:

ـ اود ملعقتين من السكر فقط.

سألته، وهي تقدم له القهوة واللهب يتصاعد منها على الرغم من مضي بعض الوقت:

ـ هل جرت الأمور على ما يرام؟

ـ نعم (اجابها بنبرة تنم عن دهشته، ثم اخذ الفنجان من يدها وتابع) ان ما يقلق في مثل هذا الطقس قدوم احد القوارب من ستربثس وأجد انه من الأسهل علي ان اكون مسؤولاً عن منارة، من ان اكون قبطان السفينة.

وضع فنجانه على المنضدة محاولاً ان يملأه من جديد بنفسه، اذ لم يرغب ان تعيد سالي الكرة، فهو مؤمن بمبدأ الاكتفاء الذاتي ما دام يعيش وحده. نظرت اليه مبتسمة، وهي تتأمل اصابعه المرتبة التي اخذت تتحرك بهدوء، وأيقنت ان النساء في حياته يعنين له شيئاً مختلفاً تماماً.

التقت نظراتها وهي تستقر في كرسيها، فشعرت من ملامحه الساخرة انه قرأ افكارها من جديد. فاضطربت وحاولت ان تجد موضوعاً تتحدث عنه لعله يذيب الجليد بينهما فسألته:

ـ في اي مكان تكتب؟ (اذ انها لم تجد اوراقه، أو الآلة الطابعة في

اي مكان من المنزل. احمر وجهها وتابعت) انكتب في برج المنارة؟

نظر اليها ومسحة السخرية في عينيه:

ـ اعتقد انك رأيت خلال زياراتك للمنارات الأخرى، ان برج المنارة لا يتسع الا لمعدات العمل الأساسية. اني اكتب فيما نسميه غرفة المساعد بالقرب من البرج نفسه. وقد تمت هناك قبل مغادرة اخي وزوجته فهما يقدران حاجتي للانفراد بنفسي.

فهمت من جملته الأخيرة، انها لا تدرك مدى حاجته للاختلاء بنفسه فردت بصوت بارد:

ـ ولماذا لا تبقى هناك؟

وسحبها الخيال من واقعها، وبدأت تتساءل ترى ايفكر بتكرار ما حدث بينهما؟ الا يعلم انها لا تحب ذلك النوع من العلاقات المؤقتة؟

رد على سؤالها ونظرات الانزعاج تشع من عينيه:

ـ عدت لأن علي ان اشغل هذا المنزل وأبقيه دافئاً، وليست غرفة المساعد مجهزة بأدوات المطبخ اذ ان المساعد الأعزب يتناول وجباته مع العائلة.

ثم عقد ما بين حاجبيه فبدا وجهه مألوفاً لها وتابع:

ـ اظن انك توجهين الأسئلة من اجل الموضوع الذي تكتبين عنه. ولكنني افضل الا تذكري اسمي في مقالك. وكما اخبرتك، ان حياتي الخاصة مهمة بالنسبة الي. وأنا حريص على ان اجيب على اسئلتك التي تتعلق بالمنارة دون ان تمس عملي الشخصي.

فهمت سالي من حديثه انه يطلب اليها ان تلتزم حدودها، وكأنه اراد ان يذكرها بأصول العمل كيلا تتجاوز هذه الحدود.

ـ اعتقد ان حياتك الخاصة بأمان يا دكتور لايل (اجابته ساخرة وقد ارتجفت ثانية اذ شعرت من جديد بتحذير الضباب وتابعت) كما انني لا اعتقد، حتى لو ذكرت عملك بالتفصيل، ان الناس سيتهافتون عليك هنا كي يكتشفوا الجوهرة المكنونة التي تحتفظ بها.

ـ جوهرة أو غير ذلك (قال بفظاظة) انني لا ارغب في ان يعلم احد ما ابذله من جهد الآن. ان ما اكتبه نوع من الانحراف بالنسبة الي، ولا اعلم كيف سيقبل الجمهور عملي هذا. وبما انك تكتبين ايضاً فبامكانك ادراك هذه الحقيقة.

ـ اجل! اقدر ذلك يا دكتور

وعادت الى تفكيرها ثانية، انه يتاجر بكتابة رخيصة تجارية لا تتضمن الأفكار القيّمة. آلمتها تلك الفكرة، فنظرت الى ساعتها وقد تجاوزت التاسعة مساء، فأرادت ان تنام مع انها لم تنم باكراً منذ طفولتها، ولكنها ستفعل لتتجنب مجالسة لايل همينغ، وتتمتع بعزلة كثيراً ما تكلم عنها لايل وعن اهميتها. فقالت بأدب وهي تنهض:

ـ اتسمح ان اذهب الى غرفتي، فقد امضيت يوماً متعباً، وعليّ ان اكتب تقريراً قبل النوم.

نهض بدوره وقد لاح في نظراته فضول هادىء:

ـ اعتقد انه من الأفضل ان تكتبي هنا حيث الغرفة دافئة. ان غرف النوم ستغدو كالصقيع فيما لو اغلقت ابوابها. وهذه المدفأة كافية لتدفئة جميع انحاء المنزل شرط ان تكون الأبواب مفتوحة. لهذا انصحك بترك باب غرفتك مفتوحاً، اذا ما كنت مصممة على الكتابة فيها.

قررت سالي وهي تصعد الدرج انها لن تترك باب غرفتها الذي يقابل غرفته مفتوحاً وهي متمددة على السرير بثوب نومها، سواء شعرت بالدفء ام تجمدت من البرد، لا سيما وانه اظهر نيته عندما عانقها قبل العشاء. فكيف لها ان تثق به بعد الآن؟

شعرت بالرجفة عندما دخلت غرفتها الصغيرة الباردة، بعد ان نعمت بدفء غرفة الجلوس. نقفت اسنانها وقررت ان تترك الباب مفتوحاً أثناء النهار فقط ليتسرب الدفء اليها.

وما ان بدأت الكتابة، حتى شعرت بتصلب مفاصل اصابعها من البرد، فقررت مقتنعة نفسها بأن ترجىء الكتابة الى وقت آخر لا سيما وانه لا يوجد الكثير في جعبتها. شعرت بالندم لأنها ارتدت قميص

نومهن النايلون الأخضر الذي لا يلائم برودة القطب الشمالي. لكن اغطية السرير المحشوة السميكة، وعدتها ان تشيع الدفء فيها، فانزلقت تحت الملاءات حيث شعرت براحة تامة.

غطت جسمها حتى ذقنها، وأخذت تتأمل السقف ذا الطلاء الأبيض محاولة ان تستعرض حوادث اليوم. وتذكرت ان رحلتها المحفوفة بالمخاطر، لم تعترضها اية مخاوف تذكر حتى وصلت الى هذه الجزيرة النائية المختلفة تمام الاختلاف عن باقي المنارات نظراً الى مكانها النائي. اما المنارات الأخرى فكانت متصلة باليابسة. ولشد ما ادهشها انها لم تقابل المسؤول عن المنارة الذي توقعت ان تلقاه، بل قابلت الأستاذ لايل هيمينغ الذي توقعت انه بعيد عن المنارة المعزولة بعد القمر عن الأرض. فوجوده في الجزيرة يخالف لما تعرفه عن نشأته في عائلة متمدنة غنية رسمت له مستقبله المهني كي يصبح استاذاً في الجامعة. كان بالنسبة اليها مجرد استاذ في الجامعة. ولو سئلت عن رأيها الشخصي فيه، لما اجابت، لأنها لم تكن تعرفه عن كثب حتى بعد ظهر هذا اليوم بالذات. تحركت تحت الأغطية لتطفىء المصباح جانب سريرها، وعادت التساؤلات تتزاحم في مخيلتها: لماذا انتابها ذلك الشعور وهي بين ذراعيه وكأنها تعرفه منذ امد بعيد؟ ترى لماذا تشعر انها ستعود لا محالة الى ذراعيه؟ وسحبها الكرى مداعباً، فاستسلمت لنوم عميق.

٣- سأحطم غرورك!

استيقظت سالي مذعورة اذ شعرت بحلول الضباب الذي قطع أحلامها. لم تدرك كم مضى على استغراقها في النوم، لكنها لاحظت عبر افريز النافذة، أن الظلام ما زال مهيمناً. اضاءت المصباح جانبها، ونظرت الى ساعتها التي أشارت الى الثالثة والربع صباحاً، شعرت ببرد شديد يخترق كل عصب من أعصابها على الرغم من الأغطية المتعددة التي تحميها. لم يخطىء مضيفها لايل حين طلب منها أن تترك باب غرفتها مفتوحاً ليتسرب الدفء اليها من الطابق الأسفل. جلست في سريرها محتضنة ركبتيها، فانزلق الغطاء عن كتفيها، فشعرت بتفاهة ثوب نومها الذي لا يحميها في مثل هذا الوقت.

رمت الأغطية جانباً وهي تتنهد متزعجة، وهبت على اطراف

أصابعها لتفتح الباب وهي تهمس في سرها ان لا مجال للحياء في مثل تلك الظروف. مشت الى الباب، وأمسكت بأكرته، وسرعان ما عصف الضباب بصوته المخيف، فتوترت أعصابها، وأدارت الاكرة بعنف اكثر من اللازم. آه يا الهي ما الذي دفعني للمغامرة وللمجيء الى جزيرة روك لمجرد انهاء التقارير؟

بدت لها الحياة في الجزيرة خالية آنذاك، اذ تأثرت تأثراً كلياً بما قرأته عن المنارات، وبحثت عن تاريخها في الكتب الأدبية قبل الشروع بهذا التحقيق الصحفي. وقد أدركت الآن مدى البطولة التي اتسم بها الرواد الأوائل الذين عملوا كحراس للمنارات. انها لا تقصد بالبطولة تلك الشجاعة لانقاذ ركاب سفينة تحطمت، انما ذاك الكيان الفيزيائي الذي جعلهم يتحملون هذه الظروف القاهرة التي تتعرض لها المنارة.

وما ان خطت خطوة واحدة باتجاه الممر، حتى لفها تيار دافىء قادم من الأسفل، فأغمضت عينيها، وترنحت بنشوة أزالت قشعريرة جسدها. نظرت نظرة ساخرة وهي تفكر ان كل شيء في هذه الحياة مرتبط بالآخر، وان الحصول على الأشياء الضرورية في الحياة، أمر مفروغ منه لدى الكثير من الناس.

حركت رأسها بعنف الى الأسفل والى الجانب، وفتحت عينيها بدهشة عندما سمعت صوت باب الغرفة في الطابق الأسفل يغلق بهدوء تام كما يفعل السارق. اختنقت أنفاسها في حلقها اذ سمعت صوت خطوات تصعد السلم. تسمرت في مكانها كالحجر، وأخذت تراقب شبح شخص بدأ يظهر بالقرب من حاجز الدرج، وقد انعكس خياله على الحائط الذي يواجه السلم.

اطلقت من حنجرتها شبه المشلولة صرخة فزع، الا ان الضوء الكاشف القوي تحرّك باتجاهها فكاد يعميها. وبشكل آلي غطت عينيها براحتيها، واذ بها تسمع صوت لايل المألوف وكأنه يؤدي قسماً ما، ويستفسر عما أصابها وهو يوجه الضوء الكاشف الى السقف،

وقد اقترب من جسدها المرتعش وقال:

- ما بك بحق السماء؟ ماذا حدث؟

- ظننت ان شخصاً ما قد اقتحم المنزل (تلعثمت ونظراتها الى جنب الضوء لترى وجهه).

- اقتحم المنزل! (أعاد جملتها وضحك قليلاً) ان هذا الأمر ليس مألوفاً في جزيرة روك اذ يخشى المجرمون المخاطرة بأرواحهم، لأنهم ربما لا يتمكنون ليلاً من ارساء القارب بين هذه الصخور المحفوفة بالمخاطر.

عادت الى رشدها، وشعرت ان حدساً أحق تملكها، فزاد من صوتها لأن لهجة لايل كانت قاسية جداً. فقالت:

- لم أكن متوازنة تماماً وهذا ما يحدث لمعظم الناس عندما يستيقظون فجأة.

- وما الذي أيقظك؟ أنا؟

- لا أعلم (أزلت يديها عن عينيها وتابعت) لا اعتقد ان جزيرة روك آمن مكان على وجه الأرض، فزئير الضباب هنا يشبه صرخات الأشباح.

- وهل اعتقدت أي شبح من الأشباح؟ (سألها مداعباً وتابع) وأؤكد لك يا آنسة براون أننا هنا لسنا عرضة للصوص او للأشباح التي تظهر ليلاً (احتدّ صوته وكما يقول المثل: من لاعب القط تحمل مخالبه) لو أنك تزوجت، لكنت الآن تنعمين بأوقات طيبة آمنة بصحبة زوج في المدينة، بدلاً من تجوالك المستمر حول الشواطىء لتكتبي مقالات تستغرق كتابتها وقتاً طويلاً، بينما يقرأها الناس بسرعة.

تنفست سالي بسرعة وانفجرت غاضبة:

- أتعتقد ان كتابك الرخيص الذي تؤلفه سيصبح أدباً خالداً؟

- هل قلتُ رخيصاً؟ ما الذي تتكلمين عنه؟

ارتجفت اذ بدت القسوة واضحة على ملامحه، على الرغم من

الضوء الخافت الذي تعكس عليه، وغدا وجهه قاسياً كأحد الصخور المحيطة بالجزيرة.

- انني أتكلم عن الكتاب الذي تؤلفه.

أجابت باصرار ولم تنسحب من الموقف على الرغم من ثقتها بأنه سيكيل لها الصاع صاعين. وتابعت بازدراء وعيناها تشعان بريقاً يعكسه الضوء الساقط عليهما:

- وكم تتوقع ان تربح منه يا دكتور هيجنغ؟

صمت هنيهة وأجاب:

- لا أتوقع الكثير. ألم تتوقعين اني سأربح الكثير من المال؟ (هزّت كتفيها، فتابع) لا انك تجزمين بذلك. وما الذي يدفعك الى الظن بأني أؤلف كتاباً تجارياً؟

ضحكت سالي في سرها من تقويم عمل الدكتور هيغينغ في هذا الممر الضيق، وعثل تلك الظروف. لكنها لم تستطع ان تكذب حدسها بأنه قد باع كتابه مسبقاً لاحدى دور النشر التجارية. وقالت:

- أعتقد انك تؤلف كتاباً عن معاشرة السيدات اللواتي تعرفت عليهن، ولم تتزوج واحدة منهن.

شعرت سالي ان تعليقها هذا سيؤلمه. لكن تعابيره لم تفصح عن ذلك. لماذا يتألم؟ وهو ينظر الى السيدات كزهرة يزين بها سترته، ثم يدوسها بقدمه ويفتتها عندما ينتهي منها. لكن جوابه أكد لها صدق احساسها هذا اذ ردّ هازئاً:

- وكيف خمنت موضوع كتابي؟ في الحقيقة لم أنه بعد الفصل الأخير منه. فما رأيك ان تقومي بدور البطلة؟ (واخترقت عيناه جسمها الى الاعماق، وشعرت بنظراته الدافئة تلتهمها وتابع) اعتقد انني لم التق امرأ نحيلة مثلك، لكنني أستطيع التكيف.

خطت سالي الى الوراء بسرعة، فدخلت الغرفة اذ انه تحرك عمداً باتجاهها، فأمسكت باصابع مرتجفة، وبسرعة، قبضة الباب، وكأنها

تريت ان تخفي صدرها بيديها، فأدركت فداحة الموقف عندما وضع لايل الضوء من يده على الأرض، وامسك بذراعيها العاريتين. أصبح تمثالها قاب قوسين أو أدنى، ولن يعلم احد ما فعل الأستاذ مع امرأة عرضت نفسها لذاك الموقف لترضي طبيعة عملها

- ابتعد. . .

هتفت بسرعة وبحدة عندما امسكت يداه بها.

- لكنك لم تعترضي بالأمس (رفع رأسها، ونظر الى وجهها الفزع وتابع) ما لك تبدين كالنعجة المسوقة الى الذبح؟

ولم يترك لها مجالاً للاجابة اذ انهال عليها. . . ومشى بها الى سريرها و. . . سرعان ما هتف:

- هذه مقدمة الفصل الأخير من كتابي. سنحتاج لمزيد من الوقت كي يتلاءم الفصل مع ذوق العامة من الناس.

وقف الى جانب سريرها بتحد، فأدركت قذارة الموقف فشتمته:

- لعنك الله. . .

واندست في الفراش وغطت جسمها حتى رأسها.

أجابها ساخراً:

- انني ملعون منذ وقت طويل مضى، واتيحت لي الآن قوة أقوى منك.

ساءتها هذه الجملة كثيراً فهتفت غاضبة:

- اخرج من هنا. . .. واياك ان تعود الاّ اذا وافقت ان انقل تصرفاتك الى سلطات حرس السواحل.

- والى اي حد تعتقدين انهم سيصدقون كلام سيدة تعمل صحفية! فأمثالك غير معروفين بالاحتشام والفضيلة. وبالطبع لن يصدقوا سيدة مثلك، تنتقل من هنا الى هناك وحيدة من أجل معلومات تجمعها، وهي ما تزال تحتفظ ببراءتها.

تحرك ظله أمام السرير، واقترب من الباب وهو يقول:

- نعمت مساء يا آنسة براون. أتمنى لك احلاماً سعيدة.

ترنح رأس سالي على الوسادة، وعيناها تبحثان عن شيء تقذف

به رأسه المغرور، فلم تجد سوى المصباح المثبت جانب السرير وقد غاص بالظلام. أمسك لايل ضوءه الكاشف، وابتعد، فاتقدت عيناها غضباً وهي محدقة في الظلام.

يا لغرور هذا الرجل الذي لا يطاق، ويا لكبرياء النساء الصحفيات المجروح الذي تعاني منه سالي دائماً. ويا لعظيم دهشتها اذ انه لم يخطر بذهنها يوماً ان شاباً يافعاً مثل لايل يحمل تلك الافكار البالية التي تتناول سمعة الصحفيات كما صورتها الافلام القديمة.

ألمتها افكاره تلك حتى محته من مخيلتها محواً تاماً، ولكن كيف يمكنها ذلك وهو ذو منزلة خاصة؟

طار النوم من عينيها، فجلست في هدأة الليل تتأمل في سرها: كيف تسبّب سقوط الأستاذ المرموق؟ اعتراها شعور بالحقد لم تعرف له مثيلاً قبل الآن، وربما لا يكون الانتقام لذيذاً، لكنه سيرضي غرورها ويريح صدرها.

اقتنعت سالي ان السلطات لن تصدّق أية شكوى توجهها ضده. لذا عليها ان تجد طريقة اخرى، لأن اخلاقه وسلوكه كأخلاق وسلوك اي رجل آخر في وضعه. اضافة الى انها لا تملك حقائق مادية تمكنها من رفع دعوى ضده. اذن يجب ان تجد حقيقة ثابتة لتكون ضربتها طعنة لا يستطيع الانسحاب منها بعد اهانته لها.

أودى بها عقلها البريء المنشغل بحياكة المؤامرة، الى الاضطراب، وهي ممددة تحت الأغطية. وفكرت... وفكرت... ثم هتفت في اعماقها وجدتها... وجدتها... ساطعنه في كتابه الذي يؤلفه، ما دام يخشى منها ان تذكر في مقالها اي شيء يتعلق بوجوده في الجزيرة، أو عن كتابه الذي يؤلفه. انها خطة موفقة ستطعنه في الصميم. قررت ان تكتشف عنوان الكتاب ضمن المجموعة التجارية، وتعلنه الى الجمهور، وبالتالي فان سلطات الجامعة لن تغفر له نشاطه الاضافي البعيد عن منهاج الكلية. وهكذا سيغوص لايل هيمينغ في بحر من النسيان تكون هي السبب

في ذلك.

وبلا تساؤلات فيما اذا كانت تتصرّف نتيجة ظروف شخصية راهنة، داعب الكرى اجفانها، فاستسلمت له وأصابع الفجر تنشر اشعتها الخفيفة في الغرفة الصغيرة.

استيقظت والحلم ماثل امامها، اذ رأت نفسها تبحر بصحبة والدها في بحر هائج. ما لبث ان هدأ. جالت النظر في انحاء الغرفة الغريبة، ورأت باب الغرفة المؤدي الى الممر مفتوحاً، ونظرت الى خزانة الملابس، ثم نظرت الى ساعتها التي اشارت الى التاسعة والنصف صباحاً، فجلست وهي تنظر متفقدة ما حولها.

ادركت ان الهدوء يخيم على المنارة اذ هدأ زئير الضباب. هرعت من السرير حافية القدمين، وركضت نحو النافذة. شعرت بابتهاج في أعماقها اذ صفا الجو. مدت يديها لتمسك بافريز النافذة وهي فرحة بانها تستطيع العودة الى وطنها... وفجأة تملكها غضب يائس، عندما نظرت الى الأفق البعيد، وقد غصت السماء بضباب كثيف. شعرت على الرغم من عدم خبرتها بالانواء الجوية، بأنه من المستحيل ان يتجاسر احدهم، ويخوض عباب البحر الغاضب ليصل الى جزيرة روك.

تحطمت آمالها البراقة، واعترتها موجة من الكآبة. وأدركت ان لايل على حق، اذ انها لن تتمكن من مغادرة هذه الصخور قبل مضي اسبوع أو اكثر.

عادت بذاكرتها الى أمسية الامس، فاقشعر جسمها. وبدأت تصغي لعلها تسمع تحركات لايل في المنزل. لكن صوتاً لم يخترق حجب الصمت، فاطمأنت الى ان لايل يعمل في البرج. اخذت سروال جينز، وقميصاً نظيفاً من حقيبتها، ومضت باتجاه الحمام الصغير.

كانت مياه الحمام ساخنة، فاضطرت ان تفتح الماء البارد. استعملت الصابون الخاص بلايل، فلم تعجبها رائحته القوية،

فاستعملت صابونها ذا الرائحة اللطيفة، وبعده استعملت رذاذاً مرطباً ومنظفاً. لكن استمتاعها بالحمام وانتعاشها، لم يغيرا من تفكيرها الذي رسمته ليلاً كي تشوّه سمعة الكاتب الدجال لايل.

اهتمت بنفسها اكثر من المعتاد، وهي تشعر بالملل الذي يحمله هذا النهار. جففت نفسها وفكرت ببرودة بخططها الهجومية العنيفة، اذ لن يتعذر عليها الوصول الى غرفة المساعد حيث يعمل لايل، لاسيما وانه ينال قسطاً من الراحة، ولن يفكر باغلاق الباب قبل مغادرته الغرفة.

فكرت بأن تنقل بعض الفقرات الرخيصة من المخطوط، وتسجلها على سروالها الجينز لتتصرف بها فيما بعد مضيفة اليها نقداً لاذعاً. وهكذا اخذت الفكرة تتجسّد في ذهنها المتعب، وبدأت تصدر عبارات مثل: «مما لا شك فيه ان الدكتور لايل هيمينغ تمتع كثيراً بحياته، وتمل من نيعها بتجاربه العديدة مع الجنس اللطيف».

ولما اطمأنت الى تخطيطها الهجومي هذا. دخلت المطبخ، فرأت على المنضدة عبارة جافة وقعها لايل يدعوها الى ان تعد لنفسها طعام الافطار. تناولت قطع خبز من العلبة الخاصة به، بعد ان وضعت الورقة جانباً، اذ ادركت، من جفاء العبارة، ان لايل قد احجم عن التفكير بانشاء صداقة بينهما. سخرت من نفسها: من قال انهما صديقان، انها لن تعتبره صديقاً بعد ما حدث، وقد تكون افعى سامة، أجدر بالصداقة من هذا الرجل الذي أيقظ بها أحاسيس مختلفة أحرى بها ان تبقى مدفونة في أعماقها الى حين الزواج.

اتسعت عيناها وهي تنتظر قطعة الخبز لتسخن، وتفكيرها منصب على لايل، ذلك الرجل الذي لا يفكر مطلقاً بالرباط المقدس بل بالعلاقات المؤقتة. انه رجل يتمتع بجميع صفات الرجولة التي تجذب السيدات اليه، وبصراحة انه من وجهة نظرها العاطفية يتمتع بتلك العظمة والرجولة التي تتخطى الاعتبارات الاخرى جميعها.

حاولت ان تريح نفسها من عناء التفكير، وأخذت تعد بأصابع

عاقلة شطيرة من الخبز محشوة بالزبدة والمربى. ثم صبت قليلاً من ابريق القهوة الموجود على المدفأة. وسرعان ما أعادت تقويم لايل ثانية ولكن من وجهة نظر عاقلة، فشعرت انه مزيج من صفات يحتقرها فهو واثق بنفسه، متغطرس، متمسك بما يريد، ويعمل على نيله بشتى الوسائل.

انهت طعامها، ووضعت الاطباق في الحوض، وخرجت تتفقد ارجاء المنزل، فرأت الأبواب مغلقة، والنيران خامدة، في حين كانت أبواب المدفأة الزجاجية مفتوحة بالأمس، والنيران تضطرم في الموقد. مشت الى النافذة، فلاحظت دخاناً رمادياً منخفضاً ينبعث من مدخنة فوق سقف ذي طلاء احمر لم تنتبه لوجوده عندما وصلت، اذ اضطربت لانها رأت لايل هيمينغ يحييها بدلاً من أخيه جون.

تأملت السقف الأحمر لعدة دقائق، ثم استدارت ومشت الى المدخل. حيث أخذت سترتها التي علقتها على الباب الأمامي انطلقت خارجة وهي تنظر الى الغيوم الحائمة فوق الجزيرة وسرعان ما لفت انتباهها ممراً اخضر بين الصخور، ظنت ان لورنا هيمينغ قد قامت بزراعته، مما دعاها الى التفكير بأن لورنا امرأة متفائلة لدرجة كبيرة، دفعها تفاؤلها الى الاعتقاد بان النبات يعيش في هذا المكان الذي يعصف به الهواء. وما ان اقتربت من العينات التي تراءت لها عشباً اخضر، حتى وجدتها أنواعاً من نبات الأشنة المتعلقة بالصخور. ولما وطأتها شعرت كأنها تمشي فوق سجادة خضراء، اضفت سحراً زمردياً على المنظر، وقد امتزجت مع براعم ستتفتح أزهارها عما قريب، وتداخلت مع نبات الاشنة فوق تلك الصخرة، منتصبة عالية لتلاقي حتفها تحت قدمي سالي.

اغراها البرج الصامد المصنوع من الفولاذ، وكأن صفارة انذار امرتها ان تقترب منه فعبرت جسراً خشبياً يشبه خندقاً مائياً احاط ببناء البرج، فوجدت نفسها امام بابه الحديدي الابيض.

نظرت الى الوراء بسرعة، فلم تر الاّ المنزل الرئيسي. امسكت

حلقة الباب الذي فتح بسرعة، واعتراها الفضول وكأنه يدعوها الى المضي قدماً الى ذاك الداخل المظلم. نظرت الى الخارج نظرة أخيرة، ثم خطت الى الأمام.

تسلل الضوء من السلم اللولبي الذي يصل الطابق الاسفل، الذي يحتوي على الآلات التي لا تثير اهتمامها، بالطابق العلوي. اخذت تنظر الى الأعلى وهي تمسك بالحاجز وتصعد السلم اللولبي. وعندما وصلت الى نافذة في منتصف السلم، كادت انوار المحيط تعمي عينيها، اذ اخذت تنظر الى الامواج البيضاء، وهي تتكسر فوق الصخور المثلمة. تملكها شعور غريب، وعاودت الصعود حيث وجدت في أعلى البرج المضاء غرفة امتلأت بآلات تحدث أصواتاً مختلفة. مشت الى منتصف الغرفة وهي تنظر الى مجموعات الساعات الشمسية، ومفاتيح الكهرباء التي اصطفت بشكل مربك، كأنها تؤكد ان من يعمل بها شخص ذو كفاءة ومهارة لا يتمتع بها الا المهندسون. نظرت الى ما سجله لايل، وتأكدت من انه لا يواجه أية مشكلة في ادارة البرج، ويدير عمله براحة تامة.

كانت منحنية فوق مقياس الطقس عندما سمعت صوتاً لم تميزه يسألها:

- هل لي أن أساعدك؟

تهدجت انفاسها عندما استدارت لترى الشخص الذي خاطبها:

- آه... (تنفست وقد شعرت براحة لم تستطع تفسيرها عندما رأت لايل يقف أمامها تحت الضوء الخافت، وتابعت) اردت فقط أن أرى ماذا يوجد هنا.

أجابها، وهو يدير مفتاح ضوء قوي:

- أعتقد انك تعرفين ما يوجد، ما دمت قد زرت منارات اخرى قبل الآن (اقترب منها بسروال من الجينز، ضيق، وقميص مخطط بالأسود والأحمر يصلح ان يكون سترة وقال) هل تهتمين بأمر آليات المنارة؟

شعرت سالي بجفاف في فمها، فحاولت ان تبلل شفتيها بلسانها، وهي تنظر الى بعض الأسهم التي اخذت تتحرك بسرعة مشيرة الى بعض المعلومات الهامة وأردفت:

- احب ان ادرس الخلفيات المتعلقة بعملي.

هز رأسه موافقاً، فشعرت بارتياح غريب ممزوج بالشكر يسري في اعماقها ثم شرع يقول:

- حسناً. اذا كان الأمر مهماً لسير عملك، فسأشرح لك وبدقة ما يجري هنا، ولا تترددي في ان تطرحي عليّ ما يحلو لك من اسئلة. فلنبدأ اذن بهذه الآلة الضخمة.

وقف بالقرب من الآلة، وبدأ يشرح لها عملها، كأنه فني مختص بحراسة المنارات، فأيقظ اعجابها به لما يتمتع به من دقة في الشرح، ذكرها بانه استاذ لا وجود لمثله في الجامعة. وما ان وصل الى شرح آخر آلة أمامه، حتى شعرت انها اصبحت خبيرة بتلك الآلات نتيجة شرحه المنطقي الدقيق، وكلماته المتسلسلة الممزوجة بمسحة من الفكاهة

قال مستخفاً:

- ان هذا العمل لا يتطلّب ذكاء معيناً، بل الانتظام وحسن التطبيق. وعلى المسؤول أن يكون متقناً لكليهما ليتمكن من ادارة المحطة بشكل فعّال.

لمست من صوته انه يعترف بعدم كفاءته فقالت دون تفكير:

- كم تمنيت الاجتماع بأخيك.

نظر اليها وهو شارد الذهن قبل ان يسجل ارقاماً جديدة على الدفتر الذي أمامه وقال:

- قد تلتقينه، ولكن لن يكون اللقاء طويلاً. اذ ستغادرين على القارب الذي سيعود به ويزوجه لأن الصخور المحيطة بالمنارة، لا تشجع على ارساء السفينة هنا مدة طويلة (زال الشرود من نظراته، واخذ يتفرس بها ساخراً وهمس) ما الامر يا آنسة براون؟ هل ترغبين

ان تلتقي أنثى لأنه يتمتع هنا بمركز حساس اكثر مني؟ احب ان اؤكد لك أنني أتمتع بالكفاءة نفسها اللتي يتمتع بها جون، وان كان يعمل هنا منذ زمن.

أجابت سالي ببرودة وهي تسير نحو اليسار، حيث تظاهرت بأنها تمعن النظر بأرقام ساعة شمسية سوداء:

ـ لا اشك في كفاءتك. وقد لاحظت انك تتمتع بالكفاءة المطلوبة يا دكتور هيمينغ.

وما ان نطقت كلمة دكتور حتى شعر انها توجه له سهماً خارقاً، اذ قصدت كفاءته في التكيف مع طالباته اللواتي يخضعن لأوامره بافتتان. فدار على كعبه وحملق بها، وببرودة قال:

ـ أتسخرين! أتعتقدين انني ارتكبت خطأ اذ حسنت من مستوى طلاب اللغة الانكليزية، وهذا ما يفتح الأفاق أمامهم، ويمنحهم بمستقبل مشرق؟

شعرت سالي انه فهم تماماً ما عنته. وأدركت انه لن يغفر لها هذا الذنب. وفي الحقيقة ان طلابه أدركوا ان تفهمهم للغة الانكليزية وآدابها قد تحسن، منذ ان تعهدتهم لايل دون ان يفكر احدهم بالدوافع الشخصية التي سارعت من اهتمامهم باللغة. انتابها شعور بأن لايل يهتم بالنتائج اكثر من اهتمامه بالأسباب، حتى ولو كان تعلق طالباته الشديد به، هو الدافع الأكبر لتفهمهن واستيعابهن المواضيع التي يطرقها. ثم سألته ساخرة، وصوتها ينم عن حقد لم تعهد له مثيلاً قبل الآن:

ـ ما هو عدد المؤلفين الذين تخرجوا من عهدتك؟

لكنها لم تكن مستعدة لتلقي جوابه العنيف اذ قال:

ـ مؤلفون! ربما لم اخرج اي أديب، لكنني خرجت رجالاً ونساء يستخدمون خيالهم المبدع حتى في حياتهم اليومية. رجالاً يدركون معنى حياتهم، ونساء يدركن نتائج اعمالهن الفعالة، كما يحققن ما يطمحن اليه. اما الدكتور جيفري استاذك انت، فانه يهتم فقط

تدريس المواد النظرية. ولهذا ارى انه استاذ مخفق، اذ ان امثالك من مريداته الفتيات يتمتعن بأفق محدود.

أجابته بغضب حاد:

ـ لكن نظرتي الى الحياة ليست محدودة كما تدعي.

وسرعان ما سرحت بخاطرها لكيف لها ان تكون محدودة الأفق، وقد ترعرعت في بيئة ليست تقليدية، ولم يلزمها والداها بأية تقاليد، كما انها لم توافق هي نفسها على العيش في دائرة مغلقة. حقاً ان كلاص والديها احدهما للآخر يعتبر غريباً في عالمها الفني، لكن ذلك لا يعني ان افقها محدود. ثم عادت الى واقعها، وقطعت الصمت اللذي ساد برهة، واللذي لم يخالطه سوى صوت الامواج في الخارج، وقالت متابعة كلامها:

ـ ان مفهوم الأخلاق موجود قبل تشييد الجامعة بزمن بعيد.

سألها مستفسراً:

ـ وعن أي نوع من الاخلاق تتكلمين؟

وتشعب الحديث بينهما كما لو كانا في الحرم الجامعي، متناسين انهما يقفان في اعلى برج المنارة. اتكأت سالي على حافة احدى الآلات، غير آبهة لما سيحصل لأنها كانت مأخوذة بالنقاش المفعم بالحيوية التي تعهدها في محاضرات الدكتور جيفري، مما دعاها ان تحسد زميلاتها لما يتمتعن به من مناقشات مع هذا الشخص اللامع المدعو لايل هيمينغ اللذي تابع حديثه:

ـ ان الاخلاق تقتضي أن يعتني الانسان بمن هو اقل حظاً منه في الحياة، وان يمهد الجيل الحالي للجيل المقبل مستقبلاً مشرقاً...

لكن سالي قاطعته بعنف:

ـ ان الاخلاق بالنسبة الى عهد يعيش بموجبه الزوجان بجو مفعم بالاخلاص والولاء والصدق، وكل شيء في الحياة يسير وفق هذا المفهوم

ـ الا تظنين ان رأيك شخصي بحت (ززع الغرفة جيئة وذهاباً كما

يفعل في الصف وتابع) اننا نواجه مشكلات عصرية في يومنا هذا تمسنا كأفراد ومجتمعات مثال ذلك: خطر الابادة الذي يحيط بنا نتيجة استعمال عدة أنواع من المتفجرات التي خصصت لهذه الغاية. فاذا نظرنا الى هذه المشاكل نظرة شاملة، لوجدنا ان مقياسك الشخصي يأخذ طابعاً سطحياً. ظننت انك ستتكلمين عن اثر المركبات الكيميائية الرهيب المهدد بتلوث البيئة او عن خطر التسلّح الذري، فهاتان المشكلتان هما من أهم مشاكل العصر التي يجب على الجيل اليافع ان يواجهها ويحدّ منها.

فسألته ساخرة:

ـ وهل بامكانه ان يفعل شيئاً ليحول دونها؟

هزّ كتفيه:

ـ لا على الصعيد الفردي. ولكن اذا اتحد عدد كاف من الناس، وأدلى كل منهم بوجهة نظره، فبامكانهم ان يحدثوا شيئاً. هل اشتركت يوماً بمظاهرة ما؟

وقف أمامها وقد دسّ يديه في جيبي سرواله. اعترفت بحذر:

ـ اشتركت في واحدة أو اثنتين، لكننا لم نحقق سوى القليل من مطالبنا.

هزّ رأسه مفكراً ولم يقل شيئاً. لكنها ضاقت ذرعاً بنظراته التي اخذت تلتقط نقاط ضعفها ليقوّمها كشخص. ترى هل يتبع هذه الطريقة المغناطيسية مع طالباته؟ اخذت تتساءل وقد شعرت بأن قدميها تخذلانها، وكأنه سلبها حيويتها، وسرى داخلها احساس بأن طالباته المعجبات به، قد تعرّضن لمثل هذه اللحظات الفاضحة، فأسرت قلوبهن. شعرت في اللحظة نفسها بجاذبيته التي أيقظت كل حاسة من حواسها الأنثوية، وكأنها خضعت لتنويم مغناطيسي. وعندما تابع كلامه بلهجة عادية، حدقت به، ولكنه صرخ في وجهها:

ـ يجب ان تشاهدي المكان بأكمله.

أشار الى السلم اللولبي، وبدأ بالصعود، فتبعته الى الطرف القصي من الغرفة، مخدرة الاحساس، تقتفي خطواته بشكل لاشعوري.

لم يثرها العمل كثيراً في هذه الظروف المحيطة بها، اذ مرت بمعظم الأشياء وهي شاردة الذهن. لكن نظراتها تسمرت على نوافذ دائرية ذات ستائر تحيط بالقسم العالي من البرج.

لاحظ لايل نظراتها فقال:

ـ ان هذه الستائر تسدل دوماً خلال النهار ليظهر البرج عن بعد أبيض كوحدة منفصلة عن القسم اللولبي المطلي بالأحمر ذي الأهمية البالغة أيام الثلج الكثيفة لتمييزه عن بعد.

تمنت سالي ان يتابع لايل شرحه الدقيق بدلاً من ان يخوض في الموضوعات الفلسفية. تبعته الى الطابق الأوسط ثم الأسفل، والريح العاصفة تكاد تقطع انفاسها. فرحت سالي بهذه الرياح، لعلها تصحب معها الغيم بعيداً، فتتمكن السفن من ان ترسو جانب الصخور.

همس مضيفها في اذنها، وكأنه قرأ افكارها من جديد:

ـ لا تأملي بانقاذ سريع. فالضباب سيعاود تحركه واجتياحه ليلاً.

ارتعدت محاولة ان تحمي نفسها بسترتها الجلدية وأجابت:

ـ كم أكره الضباب.

ـ لقد كرهته أمي قبلك كما لم تكره شيئاً آخر في حياتها.

نظرت اليه سالي مقطبة جبينها، وقد تبعها فوق بساط نبات الطحالب فقالت:

ـ ومع هذا فقد بقيت امك هنا دون ان تتذمر أليس كذلك؟

لكن الهواء حمل اليها صوته الضعيف يقول:

ـ لا، لقد كانت تتذمر.

ـ وهل أرغمها والدك على البقاء هنا لتربي اطفالها؟

أجابها، وما زال يحاول تثبيت ازرار سترته:

- أجل كان عليه ان يعيش (وقف بجانبها يتأمل الصخور، والهواء يعبث بشعره الأسود وتابع) لم يجبرها على شيء. لقد اختارت تحمل الصعاب عندما قبلت به زوجاً.

- تماماً كما تتوافق زوجة أخيك على العيش هنا.

- أجل. لكن لورنا معتادة على ذلك، اذ كان والدها حارساً للمنارة، وقد اعتادت على العزلة، ولا مشاكل لديها بهذا الخصوص.

- لكنها قد تشعر بحاجة الى متع الحياة.

- ماذا؟

لم يفهم ما قالت اذ ألقت الريح بكلماتها عبر البحر، فقالت ثانية وهو يمشي بالقرب منها:

- أعتقد انها بحاجة الى وجود بعض الأشخاص أحياناً؟

رفع كتفيه بطريقة اعتادت عليها وقال:

- تبدو مقتنعة تماماً بحياتها. وهم يغادرون الجزيرة مدة شهر في كل عام.

- ومن يعتني بالمنارة عندئذ؟

- هناك حارس مناوب.

التزمت سالي الصمت اذ غدت قوة الريح رهيبة، ومشت باتجاه المنزل تحملق بفضول، وما زالت مصممة على اقتحام عرين لايل هيمينغ لتطلع على زبدة انتاجه الأدبي.

٤- الطبيب المداوي!

شعرت سالي بدفء يسري في أعماقها، عندما فتح لها لايل باب غرفة المساعد حيث يؤلف كتابه. احتلت وسط الغرفة مدفأة سوداء صغيرة، وضع الى جانبها كرسيان باليان. وعلى الجدار المقابل وضعت أريكة تتحول الى سرير. وتحت النافذة المطلة على البرج ومياه المحيط، رأت سالي منضدة وضعت عليها آلة سوداء للطباعة، تبعثرت الى جانبها المخطوطات بشكل فوضوي مما أشاع تناقضاً مع الغرفة البسيطة المرتبة. اذ كان السرير مرتباً مفروشاً بغطاء مزدان بالرسوم، وتناثرت قطع صغيرة من سجاد نظيف فوق الأرض الخشبية اللامعة.

قال لايل وهو يخلع سترته ويعلقها فوق حلقة ثبتت الى الباب:

- هل ترغبين في قدح من القهوة؟
أجابت وهي تفعل مثله بسترتها:
- ظننت انك لا تملك أدوات القهوة هنا.
- انني أحتفظ بها هنا. فليس من المنطقي ان أذهب الى المنزل، كلما أردت قدحاً منها.
أمسك بابريق نحاسي، وهزّه ليسمع ان كان فيه بعض الماء وأردف:
- حسناً ان الماء يكفي لقدحين من القهوة.
اقتربت من المنضدة ولم تستطع تمييز سوى بعض الأوراق المطبوعة على الآلة، وأدركت انه لن يتاح لها المجال الآن ان تحصل على ما تريد من معلومات لأن الأستاذ سيجلس معها في الغرفة ذاتها. اقتربت منه وهو يعد الأقداح، ويحضر علبة القهوة السريعة الذوبان. فأردف:
- آمل ان تروق لك القهوة بلا حليب، لأنني لست مستعداً لزيارة السيدات هنا.
ردت وهي ترمقه:
- ألا تشرب النساء القهوة الا اذا مزجت بالحليب؟
نظر اليها وهو يفتح باب المدفأة ليضع مزيداً من الحطب الموجود الى جانبها وقال:
- لست متعصباً لهذا الرأي، فمعظم الرجال يفضلون القهوة وحدها، ولكنني لم أجر احصاء بهذا الخصوص، لذا لا تعتبري رأيي امراً قاطعاً.
تضرجت وجنتاها بدفء لا تعلم مصدره، اذ أحست انه يهزأ بها بتعبيره ذاك، وأدركت في الحال تفاهة نقاشها، وأجابت بنبرة لاذعة:
على أية حال فأنا أشرب قهوتي بلا حليب.
جلست سالي في احد المقاعد، وشعرت من نظراته انها احتلت كرسيه المعتاد حيث يقوم بمراقبة البرج المهيمن فوق الجزيرة والأضواء التي تنبعث منه، مع ان البرج مزود بأجهزة تقنية تحمل أجهزة انذار

لتعبر عن حالة الطوارىء. سألته سالي عن حالات الطوارىء محاولة ازالة الصمت الذي ساد، بينما راح لايل يتفقد الابريق الذي بدأ البخار يتصاعد منه وأجاب:
- حدثت حالات طارئة مرة أو مرتين فقط.
شرد ذهن سالي وهي تتأمل جسمه القوي بعضلاته القوية، وتساءلت كم عدد النساء اللواتي مررن في حياته. ومرت في خيالها لمساته لها الليلة الماضية، فاحمر وجهها، وارتبكت فجأة عندما التقت نظراتهما، وما زال يتابع كلامه الذي لم تسمع منه الا القليل..
ومضى يقول:
- ان حدوث الطوارىء هنا، هي من المخاوف التي تعترض هذا العمل. ولكن أخي جون خبير يستطيع التصرف في مثل تلك الظروف، كما ان جهازي الانذار لم يتعطلا معاً في آن واحد.
وماذا يحدث اذا حصل ذلك؟
هز كتفيه كالمعتاد وقال:
- سيكون حظ البحارة سيئاً عندئذ.
- أليست معظم السفن مجهزة بأجهزة رادار؟
- من المعروف ان الرادار لا يعمل في الأجواء الرديئة، كما ان البحارة المحنكين، يفضلون الاعتماد على جهاز الأضواء.
تصاعد البخار من الابريق معلناً غليان الماء، فصبّه لايل في القدحين وقال:
- انه ساخن جداً والأجدر بنا ان نتركه قليلا ليبرد.
شعرت سالي بغصة وهي تراقب حركاته، اذ أمسك بالقدح، ثم جلس بعكس اتجاه الضوء ليراها بوضوح واضعاً ساقاً فوق الأخرى. نظر اليها بارتباك، بينما لم تستطع هي رؤيته بوضوح اذ غشى الضوء المتسلل من النافذة عينيها وقال:
- اخبريني يا سالي براون عن نفسك، وعن دوافعك لكتابة مقالات تتناول حياة الناس. أليست حياتك ممتعة لدرجة كافية؟

رفرفت عينيها اذ لم تواجه من قبل أسئلة على هذا النحو تتعلق بعملها، وان كان الناس بين مؤيد لعملها ومعارض، فمنهم من أبدى حماساً لعملها البراق، ومنهم من اتهمها بأنها ذات سمعة سيئة لتورطها مع أناس لامعين تجري مقابلات معهم من أجل المجلة.

ضحكت ضحكة ممزوجة بالقلق وقالت:

- أيعالج الصحافيون أمثالي مشاكل الناس لفراغ في حياتهم الخاصة؟ أم لأنهم يؤدون رسالة في هذه الحياة، ليعرفوا الجماهير على أنماط معيشية مختلفة، مما يوسع نظرتهم الى الحياة، ويمدهم بمزيد من التفهم، والمقدرة على تحمل آراء الآخرين وان كانت مغايرة لآرائهم.

فسألها ساخراً:

- وهل هذا هو رأي الدكتور جيفري أم رأي سالي براون؟

- قد تكون جذور الفكرة مستمدة من الدكتور جيفري، لكن الفلسفة هي من تفكيري انا (أجابته مؤكدة ان لها نظرة معينة للحياة، ولا تستقي فلسفتها من الآخرين، ثم تابعت ساخرة) ما الأمر يا دكتور هيمنغ، أتشعر بالحزن لأنك لم تستطع ان تجعل من بين طلابك كاتباً أو صحفياً واحداً على الأقل كما فعل الدكتور جيفري؟

- ولم يحزنني ذلك؟ (أمسك بقدح القهوة وتابع) على العكس تماماً فأنا أرى انه قد أساء اليك بتأثيره فيك، فهو لا يقيم وزناً للأخطاء الانسانية، وينظر الى الحياة وكأنها صممت بطريقة واحدة ملائمة لجميع الأشخاص دون اعتبار الاختلافات الفردية. انه يعيش في القرن العشرين، وينتحل أفكار شعراء رومانسيين عاشوا في القرن السادس او السابع عشر. واذا نظرنا الى منجزاته على المحك العملي، فانه، ولا شك، انسان مخفق.

- لا انه ليس مخفقاً. لكن آراءه لا تتوافق مع المعايير الأخلاقية الحالية المنحلة. وهو لا شك أستاذ رائع، يشعر تلاميذه بأن شيلي وأفلاطون وفيرجيل وشكسبير ما زالوا أحياء.

وقد بعض أبيات من قصيدة للشاعر شيلي بصوت حنون وبليغ

أسمعها وهي تصغي اليه متسائلة: ما الذي ذكره بهذه الابيات غير المشهورة؟

تحت ضوء ذهبي
لأشعة شمس المغيب
حيث لمعت الغيوم
انطلقت هارية تركضين
ومع الفرح تسابقين

اندهشت سالي وسألته باندفاع:

- وكيف عرفت ان الدكتور جيفري يدرّس في منهاجه شعر شيلي؟

- صدّقني أولا، لقد كان الدكتور جيفري أستاذي في الجامعة، وملأ تفكيري بأفكاره الرومانسية الحالمة، وبالطريقة ذاتها التي تأثرت أنت بها.

- وهل كونت نظرتك الواقعية للحياة بعد تخرجك؟

وكأنها بسؤالها هذا قد أقرت أفكار لايل الفلسفية المغايرة تماماً لفلسفة الدكتور جيفري.

ردّ عليها بهدوء:

- لقد علمتني الحياة ألا أنظر اليها تلك النظرة المثالية كما يراها الدكتور جيفري.

فأجابته دون ثقة بكلامها:

- يتوهم الانسان احياناً انه ضحية لبعض الأفكار، يجب ألا تلوم أستاذك عندما تكتشف بعض الأخطاء في حياتك.

قال بلهجة مستسلمة غير مألوفة لها:

- لعلك على حق، لن ألومه لعيب ما في حياتي، لكنني أدركت ان النظرة الواقعية تتلاءم مع الحياة، في حين تتضارب معها النظرة المثالية التي شغلنا بها الدكتور جيفري.

فأجابت سالي شاردة الذهن، وقد احتست ما بقي من قهوتها البادرة:

ـ أعتقد انني فهمت ما تقصد (وتابعت بحذر) عليك ان تأخذ الماضي بعين الاعتبار على ان توفق بين ما تعلمته نظرياً، وبين مشاكل الحياة الآنية

ـ تماماً.

اعتراها شعور بالغبطة عندما سمعته ينطلق بكلمة تماماً وبحماس، وللحظة ما عادت بذاكرتها الى سنين خلت، حيث جلست في غرفة الصف بالجامعة، وقد تسللت أشعة الشمس الى الغرفة، وذرات الغبار تتراقص أمامها، وتذكرت الدكتور جيفري المسن حين كان فوق المنصة، بشعره الفضي اللامع بتأثير أشعة الشمس. ترى هل أعلنت تنكرها لأستاذها المسن اللطيف الودود، ولفلسفته التي لا تمت بصلة الى التفكير الحديث. لا ان تأثيره فيها، وفي طلابه لكبير، فقد علمهم التمسك بالقيم، والايمان بصدق الروابط الانسانية التي تعزأ بالمعايير الأخلاقية الحالية.

وبدأت تتساءل في أعماقها: هل كان مخطئاً لأنه استمد قوته من تمسكه بالأخلاق الفاضلة؟

أجابها لايل وكأنه قرأ أفكارها:

ـ ربما. . . (ثم نهض وهو ينظر اليها وتابع) كان عليه ان يدخل في محاضراته قليلاً من الواقعية.

اقترب من مكتبه ونظر الى ورقة طبعت الى منتصفها وسألها:

ـ أتسبب لك ازعاجاً ان تابعت عملي. . . ؟

تلاشت مسحة الخيال من عينيها بسرعة، ونهضت قائلة:

ـ بالطبع لا.

ثم أخذت سترتها التي وضعتها بالقرب من سترته، وقد ساءها هذا التعبير السريع الذي حوله من فيلسوف الى كاتب. لكنها حاولت ان تخفي ثورة أعماقها، فأمسكت بقبضة الباب وسألته:

ـ وماذا عن الغداء؟

لوّح بيده وكأنه لا يهتم:

ـ عدّي لنفسك ما تريدين. اما أنا فلا أتناول عادة طعام الغداء، وقد قبلت لورنا بهذا.

ـ كما تشاء.

مضت سالي لشأنها وهي تغلق الباب بقوة، شعرت بوخز قدميها وهي تطأ نباتات الطحالب متجهة الى المنزل الرئيسي. ترى ما الأمر؟ أيرفض ان يأكل معها. . . أو ان يقترب منها. . . ربما أراد ان يشعرها بأنه لا يرغب بوجودها!

ترى ما الذي أصابها هي نفسها! لم تهتم به وهو كالحرباء، تارة يبعد، وأخرى لتود. ومع ذلك فانها متأثرة بتصرفاته، ولم تنجح في طرده من تفكيرها حتى وهي تعد لنفسها شطيرة من اللحم والخبز الشهية لو وجدت خساً طازجاً. جهزت لنفسها ايضاً قدحاً من القهوة، وحملت وجبتها الى غرفة الجلوس، وجلست تواجه المدفأة حتى لا تشغل نفسها بمراقبة بيت مساعد المنارة بتزيله الحالي.

أبى طيف لايل ان يفارقها، فشعرت كأنه يجلس الى جوارها. وبعد الشطيرة، وما ان همّت بالأكل حتى وضعتها جانباً، اذ لاحظت ان النار في المدفأة خامدة. دفعت بطبقها جانباً، وركعت على ركبتيها تبحث عن شيء تحرك به النار، فرأت ان الجمر المتبقي لا يكفي لاشعال ألواح الحطب المتراكمة جانباً، فمضت الى المطبخ تبحث عن شيء آخر، فوجدت في خزانة المطبخ فأساً ذات نصل حاد. حملتها ودخلت غرفة الجلوس، وانهالت بها ضرباً على قطعة من الحطب، فجاءت ضربتها الأولى خفيفة لم تترك أثراً على القطعة الصامدة، فرفعت الفأس من جديد فوق ظهرها مصممة ان تضربها به من جديد، لكن صوتاً تناهى الى أسماعها يقول:

ـ بحق السماء ماذا تفعلين؟

فقدت يدها السيطرة، وهوت بالفأس فانزلقت بين ابهامها وسبابتها، فتدفق الدم الأحمر، وصبغ قلب الخشبة الصفراء.

ـ آه. . . (صرخت سالي واستدارت تنظر الى لايل بغضب ظاهر)

وما الذي تفعله انت هنا بحق السماء؟ لقد أفزعتني حتى الموت.
رأته وهو يتقدم نحوها، فاستدارت تحدق بفزع في الدم المتدفق من يدها.

- هل... آه يا الهي!

عبرت نبرته عن استيائه أكثر من خوفه، وركع الى جانبها، وأخذ الفأس من يدها التي بدت متجمدة، ثم أمسك بيدها المجروحة، ورفعها الى مستوى عينيه، وأخذ يحدق بها وقال:

- انك ذات حظ جيد، فالجرح سطحي. انتظري هنا.

انزعجت من قوله وتساءلت: ترى ماذا يظن بأنها فاعلة؟ هل يعتقد بأنها ستخوض خضم المحيط بحثاً عن طبيب؟ ستنتظر بالطبع عودته. نظرت الى مكان الجرح، وشعرت بالاعياء يتسلل في أعماقها. ترى هل تنزف الجروح السطحية هكذا؟

ابتعدت عن المدفأة مترنحة ومتأكدة من أن لا سبيل الى اضرام النار ثانية.

عاد لايل الى الغرفة، ومعه ما يلزم لتضميد جرحها وهمس قائلاً:

- حسنا اجلسي على الكرسي، ودعيني أعتني بجرحك.

رفعت عينيها لتنظر اليه، فتراقصت صورته أمامها، وهو يجلس وجهاً لوجه أمامها فوق الكرسي المنجد، وومضت عيناه بضراوة عندما انحنى وحلق بها يسألها:

- هل أنت بخير؟

أجابته جاهدة محاولة ان تحتفظ بروح الدعابة:

- نعم بالتأكيد. فأنا لا أبالي ان رأيت دماً مسفوحاً. ألا تعلم ان الأطباء يتركون مرضاهم أحياناً ينزفون للتخفيف من مصابهم؟

شعرت بتفاهة حديثها... لكن منظر دمها أثر فيها كثيرا. اما لايل فلم ينتبه لحديثها اذ اهتم بتعقيم الجرح وتضميده، وما ان سكب عليه محلول التعقيم، حتى صدرت عنها آهة ألم... ثبت لايل قطعة الضماد بقوة بين أصابعها وابهامها فقالت:

- أشكرك... (ثم سألته وقد ترك يدها) هل تعتقد اني سأبقى حية يا دكتور؟

قال بلهجة مهذبة:

- أجل، وان كنت لا تستحقين ذلك. لماذا لم تطلبي الي ان أضع الحطب بنفسي؟

أجابته بضعف:

- كنت مشغولا يا أستاذ. ولست انا التي تقطع تأملات كاتب.

سمعته يقسم كعادته، ثم أحاطها بذراعيه يحاولا ان يساعدها، لتصعد السلم، لكنها قالت بتعال عندما لاحظت انها اقتربت من غرفتها:

- أستطيع ان أتابع بنفسي.

لكنه ما لبث ان وضعها على السرير، وأحاطها باللحاف بعناية ولطف، وسمعته كأنه يهمس من بعيد:

- لا تخافي. فليس من شيمي مهاجمة النساء الضعيفات. لهذا اخلدي الى الراحة، وتمتعي بنوم عميق، ولن أبتعد كثيراً من هنا.

أرادت ان تخبره انها ستشعر بالراحة لقربه، لكنها عندما فتحت عينيها بعد دقيقة أو أكثر قليلا، لم تجده الى جانب سريرها.

حاولت جاهدة ان تقاوم الضعف الذي اعتراها، وتمنت من أعماقها تذكر ما أرادت قوله الى لايل، لكن ذاكرتها خذلتها، وتسربت الكلمات كما يتسرب الدخان من بين الأصابع. وسرعان ما سمعت صوت لايل يقول:

- هل أنت مستيقظة يا سالي؟

فتحت عينيها، وحملقت دون تبصر في الغرفة المظلمة، ثم تأملت لايل بمنكبيه العريضين يطل الى جانبها، فاعتراها فيض من الذكريات.

- ما الساعة الآن؟

حاولت ان تتكىء على كوعها، وما زال اللحاف يغطيها، ونظرت

الى ساعتها لكن عينيها المثقلتين بالنوم، لم تميزا عقارب الساعة.

ـ حوالى السادسة (وبصوت ناعم لم تسمعه من قبل سألها) كيف حال يدك؟

حدقت سالي بالضماد النظيف المرتب المحيط بمعصمها وابهامها، وتذكرت في اللحظة ذاتها تدفق الدم الساخن عندما هوت الفاس على يدها ثم ردت:

ـ انه يؤلمني (وشعرت ان الجرح سيكون مصدر ازعاج لها حتى يشفى، وخشيت من ان تنم لهجتها عن عدم الامتنان فأضافت) على كل حال أشكرك لاعتنائك بي.

فأجابها بلهجة يشوبها الحذر:

ـ ساعتني بك ولكن اياك بعد الآن ان تستخدمي الأشياء التي لا تحسنين استعمالها. ان العشاء جاهز متى شعرت برغبة في الطعام.

ـ أشكرك.

صعدت رائحة الأطعمة الى غرفتها كما حدث بالأمس، وتذكرت انها لم تأكل تلك الشطيرة التي حضرتها ظهراً، وعرفت معنى الجوع الذي يعاني منه لايل عندما لا يأكل ظهراً. وفجأة قالت له:

ـ انني آسفة.

استدار باتجاهها وما زال عند الباب واقفاً، رفع حاجبيه وسألها مستفسراً:

ـ ولم تتأسفين؟

ـ لأنني أردت تحضير طعام العشاء بنفسي لتتابع أنت عملك.

فأجابها ساخراً:

ـ أتريدين ان تقطعي اصبعاً او اصبعين، وأنت تستعملين سكينة المطبخ الحادة؟ ولعلي أفضل تحضير الطعام من ان أضمد جراحك.

يا الهي! لماذا يجابهها بعنف ويفسد الموقف كلما ازداد اعجابها به. تساءلت وهي تنظر الى قامته النحيلة وهو يهبط السلم، وسرعان ما عادت موجة الكراهية تزحف في أعماقها من جديد. الا يعاملها

بلطف وحنان الا عندما يجدها على حافة الموت! وبعصبية ألقت اللحاف بعيداً، وأنزلت قدميها على الأرض. لكنها عادت الى التفكير به قبل ان تنهض تماماً وكأنها تلتمس له الأعذار: ليس من السهل على رجل أن خصوصاً الى هذا المكان النائي ليتابع تأليف كتابه، ان يدير المنارة ايضا، وان يقوم بتسجيل الأحوال الجوية بين الحين والآخر. اضافة الى ذلك، لم يخطر بذهنه قط ان تأتي اليه صحفية تزيد من مشاكله، وتشغل ما تبقى من وقته القليل للكتابة، ولاسيما عندما تجرح أصابعها فتفسد عليه الموقف، ويضطر مرغماً للبقاء الى جانبها في مكان لا يتوفر له جواً للتأليف، خاصة انه وعدها بالبقاء قربها.

غسلت وجهها مرتبكة وبيد واحدة، ثم رتبت شعرها، ونزلت السلم متجهة نحو المطبخ، ولما رآها قال:

ـ لن تحتاجي الا الى يد واحدة لتناول هذه الوجبة.

ثم قدم لها طبقاً يحتوي على قطعة من سمك السومون المرجاني اللون، وفاصولياء خضراء مع قطعة كبيرة من بطاطا خبزت بالفرن بصلصة غنية.

ـ هل قمت بنفسك باعداد ذلك؟

نمّت لهجتها كأنها لا تصدق ما رأت. وبعد هنيهة شعرت ان تعليقها نافه عندما اجابها بجفاء:

ـ ان تحضير وجبة طعام ليس بالأمر المتعذر، ما دامت اللوازم متوفرة في الثلاجة، وما دامت المعلبات موجودة.

جلس على الكرسي الذي يقابلها، وأمسك بزجاجة العصير قائلاً:

ـ أعتقد ان قليلا من الشراب سيسارع في شفاء جرحك.

رفرفت عينيها دون ان تتأثر بلهجته الحادة التي يستعملها دائماً، أمسكت بشوكتها، وبدأت بتناول قطعة السمك. لم تشعر بالاستمتاع لدى تفكيرها انها قد تمضي اسبوعاً آخر برفقته في هذا

المكان المنشي، وكما تعتقد كان هذا احساسه ايضا. فقالت بسرعة وجفاء:

- هل لي ان أرسل برقية الى رئيسي في العمل؟

كشر عن أسنانه وقال:

- نعم. ولكن لمَ السرعة؟ انهم لا يتوقعون عودتك قبل عدة أيام.

- عليّ ان أحضر الحفل في بيت الحاكم في الثالث والعشرين.

لم يترك كلامها أثراً في وجهه، فاستاءت منه لكنه علق ببرودة:

- وهل لهذا الاجتماع صفة رسمية؟ (وعندما أومأت برأسها تابع) اعتقد انك ستحضرينه.

أجابته بعناد:

- ولكني أرى ان أخبر جيري بانني ربما لا استطيع حضور الحفل، لان ترتيب الأمر مع غيري، يحتاج لبعض الوقت.

رماها بنظرة مستغلة، وعيناه تشعان سخرية:

- هل جيري هذا رجل أشقر بدين، أصلع يبلغ الاربعين؟

ردّت مدافعة:

- لا انه ليس كذلك بل انه رجل وسيم، رشيق، لن يبلغ الأربعين الا بعد مرور زمن طويل.

- هكذا اذن؟ يبدو من دفاعك عنه انه لا يمثل رئيسك فقط بل... هل انا مخطىء؟

- لا لست مخطئاً.

- ألهذا اذن رفضتني ذلك اليوم؟

- اني وجيري صديقان حميمان يا دكتور هيمينغ (رفت لهجتها وتابعت) لكنك لا تستطيع ان تفهم مثل تلك العلاقة البريئة بين رجل وامرأة أليس كذلك؟

ارتفع حاجباه دهشة وقال باصرار:

- لدي الكثيرات من الصديقات الحميمات.

- كتلك الفتاة الشقراء التي امسكت بيديها في نادي هارفي؟

وكان لسانها سبقها دون قصد منها، لكنها ارتاحت عندما شاهدت مسحة من الصدمة تعلو وجهه لثواني قليلة، فأجاب متشدقاً:

- آه... نعم. انها ماجدة يجب ان تكون اباها لأنني لم أذهب الى ذاك النادي مع غيرها. أجل! اعتبر ماجدة صديقة حميمة.

- ولكننا يا أستاذ لا ننطلق من المنطلق ذاته، ففهمك للصداقة يختلف عن فهمي لها.

ولما شعرت ان النقاش سيحتد، وسيظهر اختلاف شخصيتها، غيرت مجرى الحديث وسألته:

- هل لي ان أكلم جيري شخصياً؟

- هناك بعض الصعاب. دعيني أتولى الأمر بنفسي.

احتدت لهجته كأن سرعة أجوبتها لم تسره. فابتلعت اعتراضها، لان الأيام علمتها ألا تحرج لايل هيمينغ في اتجاه واحد مهما تمتعت بالاستقلال والشجاعة، لأن أطواره كالحرباء تنقلب بسرعة وسهولة من الدعابة الى المزاج النكد. وعليها اذن ان تتكيف مع الظروف حتى تغادر الجزيرة حاملة في جعبتها ما تجده مناسباً من أقوال الدكتور لايل هيمينغ الأدبية لتشهرها في وجهه كالسيف.

وبعد المناقشة تلك، تابعا طعامهما بصمت مطلق.

انتابها شعور بالراحة، عندما طلب منها ان تذهب الى غرفة الجلوس، ريثما ينظف الأطباق، لأنها لا تستطيع مساعدته بيد واحدة.

تجولت في الغرفة مضطربة، وأخذت تتأمل سحر الأضواء الفاتنة الآتية من المنارة، وذلك قبل ان تستقر في كرسيها المعتاد بالقرب من المدفأة، وتذكرت الفأس ويدها التي جرحت، لكنها لم تر أثراً لدمائها عند المدفأة، فشعرت بوخز الضمير اذ تخيلت لايل يركع على ركبتيه ينظف آثاراً تركتها زائرته المزعجة، واستمرت تفكر بلايل وبتصرفاته: فهو انسان ذو تصرفات غريبة، وعلى الرغم من انه شاب

لعوب، الا انه لم يستغل وجودها معه، مع انه يعيش بمفرده في هذه العزلة منذ مدة. انها لا تنكر انه حاول استغلالها حين عانقها، لكنه انسحب في اللحظة التي تمنت من أعماقها ان يستمر...

تحركت في كرسيها باضطراب، ولم تزل تتأمل النار المتأججة. وأخذت تتساءل في سرها: لِمَ لا تعترف لنفسها بأنها استجابت له بجميع حواسها حتى أصبحت كالعجينة بين يديه، ولولا انه لم يحجم عنها في اللحظة الحاسمة، لأطلقت العنان لنفسها دون أي اعتراض. نظرت ثانية تتفحص الغرفة، فوقع بصرها على مكتبة خلف الباب. نهضت ووقفت أمام المكتبة، وأخذت تقرأ برغبة ملحة عناوين الكتب. وجدت بعض الكتب التي تملك مثلها في مكتبتها، وسرت لوجود كتب لم تقرأها، ولاسيما سلسلة من الروايات البوليسية للكاتب جون اينسلاي.

سحبت احدى كتب السلسلة، وهي تفكر: ترى هل يكتب الدكتور لايل هيمينغ تحت اسم مستعار؟ وهل من الممكن ان يكون اسم جون اينسلاي مستعاراً للايل هيمينغ نفسه؟ انه لا بد، يوجه مؤلفاته التي ترضي الجمهور تحت اسم مستعار. وبدا لها اسم جون اينسلاي مناسباً اذ ان لايل لا بد ان يكون قد اختار اسماً قوياً مثيراً للانتباه، يسهل تذكره.

صرخت سالي بألم عندما فتح لايل الباب فاصطدم بها. نظرت الى وجهه المندهش وشعرت بخطئها. أغلق الباب بقدمه، ومضى بصينية القهوة ليضعها على المنضدة المنخفضة بين الكرسيين بالقرب من المدفأة، وقطع حبل الصمت بينهما قائلاً:

ـ هل وجدت كتباً ممتعة؟

ـ يوجد الكثير للمؤلف جون اينسلاي.

قالت بحذر وهي تنهض وبيدها الكتاب.

ـ انه من أحب الكتاب الى لورنا زوجة أخي.

تساءلت في أعماقها أليس من الطبيعي ان تحتفظ لورنا بمؤلفات

شقيق زوجها؟ لكن التساؤل لم يدم طويلاً، لأن لايل تصرف بشكل طبيعي، ولم يبد لها ان كتاباته رخيصة كما توقعت. فهو على كل حال لا يشبه احداً ممن تعرفهم من الأساتذة، كما ان حياته مليئة قصصاً عاطفية، ولن تعترضه أية صعوبة باخفاء انتاجه الأدبي فاستفسرت بهدوء:

ـ أيكتب جون اينسلاي منذ زمن بعيد؟ لم أقرأ له شيئاً قبل الآن!

أجابها مغيّراً الحديث، قاطعاً المحادثة بينهما بشكل مؤثر وهو يتجه الى الباب.

ـ أتسمحين لي ان أتفقد البرج الآن؟

همست في أعماقها ان أسلوب هذا الكاتب مؤثر جداً. ثم اتجهت الى المنضدة لتصب قليلاً من القهوة قبل ان تستقر في كرسيها ومعها الكتاب. سرحت بعيداً وهي تفكر: لن يهمها ما ستتركه من أثر لدى القراء عندما تكشف النقاب عن شخصية لايل هيمينغ الحقيقية بمؤلفاته المثيرة الرائجة. ان ما يهمها حقاً ان يعرف مجلس الجامعة مَنْ هو لايل هيمينغ ليعيد النظر في تعيينه، اذ ان المجلس يهتم بسير العمل الجامعي، وليس بمتعة الملايين.

جلست تطالع الكتاب بشغف وهي تلف خصلة من شعرها البني حول اصبعها. دخل لايل الغرفة واتجه الى كرسيه، فنظرت اليه شاردة الذهن عندما سألها:

ـ هل تريدين مزيداً من القهوة؟

لمست من لهجته الباردة الساخرة، ان عليها ان تصب القهوة له، لكنها أجابت:

ـ لا اشكرك.

راقبته وقد أمسكت أصابعه النحيلة بالابريق ومضت قائلة:

ـ ان جون اينسلاي ليس بكاتب سيء(اشارت الى الكتاب الملقى على ركبتيها).

ـ هذا رأي لورنا ايضا. لكنني لم أقرأ له.

امتزج صوته ببعض الحدة، فلم تعلم ان كان قد ضاق ذرعاً بذوق زوجة أخيه الأدبي، أم لأنه لا يريد ان يناقشها.

شعرت انها تضطجع كما لو كانت بمفردها في شقتها، فعدلت جلستها، واكتفت بمد قدميها فوق السجادة القريبة من المدفأة، وأمسكت بالكتاب بيدها السليمة، ورفعته الى مستوى عينيها وأردفت:

- هل لديك مانع من أن أقرأ الكتاب؟

حركت الكتاب امامه، لكنه أجابها بتهذيب:

- لا. على الاطلاق. واذا أردت الانفراد، فسأذهب لأقوم ببعض الأعمال.

غادر لايل المنزل الرئيسي، ولم تشعر سالي بالسعادة لأن الضباب عاود زئيره، وبقيت وحدها. ولن يقبل لايل البقاء معها، لو طلبت ذلك اليه لمجرد انها تشعر بالخوف اذا بقيت وحدها في مكان غريب. انه رجل اعتاد ان تواجه المرأة بنفسها عزلة مخيفة، لتعبر عن اخلاصها وحبها لرجلها. فأمه وزوج أخيه مثالان ينبضان بهذه الحقيقة. لكن سالي تجلس وحدها، ولن يواسيها حب رجلها العائد، ولن تحتضنها يداه الفولاذيتان لتغدقا عليها حباً ينسيها الخوف والعزلة. سيطر عليها شعور غريب جرفها عن وضعها السوي، فحلمت انها تضطجع في سرير لايل في الطابق العلوي، وركضت وراء الحلم ترضي مشاعرها، وتتوق شوقاً الى لايل. لا... لن يكون للوحدة مكان في هذا الجو الحالم، اذ انها تنعم بحب رجل يبادلها المشاعر ذاتها.

أثارت ألسنة اللهب انتباهها، وعادت بها الى الواقع، فابتسمت ساخرة من نفسها، وتساءلت كيف جمح خيالها الى ذاك الحد الذي جعلها تتخيل لايل في ذاك المشهد. لم تسخر من نفسها، وشعور طبيعي قد انتابها! ها هو لايل نفسه قد ترك المنارة منذ زمن بعيد، وانتقل الى عالم آخر ليشبع أحاسيسه التي منحته اياها الطبيعة. ترى

أيلام لايل اذا تملقته النساء، وفتن به، وكأنه دواء شاف لمصابهن مع الرجال الآخرين الذين مروا في حياتهن، كما فعلت تلك الشقراء ماجدة؟

أغلقت ابواب الموقد الزجاجية بعنف، وأمسكت بالكتاب، وصعدت الى الغرفة العلوية التي تعتبر بمثابة غرفتها ريثما تعود الى شقتها. حاولت ان تستمتع بالقصة التي بدأت تجذبها، وهي تشعر بالدفء يتسرب اليها من الطابق الأسفل عبر الباب المفتوح. لكن ذهنها تابع شروده وتساؤلاته: كيف يستطيع لايل ان يألف هذا الجو المشحون بزئير الضباب الذي يشتت الأفكار؟ ربما اعتاد على ذلك، همست في نفسها وهي تدثر بالأغطية، لقد نشأ لايل في هذا الجو وفوق هذه الجزيرة، ولهذا فان الأصوات لا تعني له شيئاً. حاولت القراءة لكن الكلمات تراقصت فوق صفحات الكتاب الذي أمسكت به بيد واحدة، وما لبثت ان نعمت بنوم عميق.

استيقظت الساعة السادسة والنصف، وقد عكس الفجر أشعة زهرية شاحبة على الجدار، وخيم السكون على المنزل الذي تربع فوق صخور جزيرة روك، والضباب ما زال يزأر برتابة على الرغم من انه توقف قليلا. نهضت من سريرها، ونظرت الى غرفة نوم لايل عبر باب غرفتها المفتوح. لا بد ان لايل منهمك الآن بتسجيل احوال الطقس الأخيرة على الآلات التي شرحها لها بالأمس.

وكالطائر قفزت من سريرها، وهرعت الى غرفته عبر الممر الضيق. رفرفت بعينيها، ونظرت الى سريره المرتب ذي الغطاء الأزرق. لم يكن لايل موجوداً وأدركت انه لم ينم الليل في غرفته.

عادت الى غرفتها، وارتدت على عجل سروال الجينز، وأدخلت في رأسها قميصاً سميكاً، شدته الى وسطها وهي تهبط السلم مسرعة، فكادت ان تسقط.

مشت فوق نباتات الطحالب التي خضعت برضوخ لوطأتها المسرعة، وهي تتجه الى بيت المساعد المبني الى اليسار من البرج.

نظرت من النافذة الى الغرفة، وقد أحاطت وجهها بيديها لتحول دون انعكاس الضوء. . . لا لم يهمل لايل عمله. . . لكن منظره وهو نائم على الأريكة الشبيهة بالسرير، قص لها قصصاً عديدة: لا بد انه عمل حتى ساعة متأخرة من الليل، ولم يستيقظ في الوقت المحدد ليقوم بتسجيلاته.

فتحت الباب بسرعة دون أدنى مقاومة، ودخلت الغرفة مسرعة باتجاه لايل النائم، وكأن النوم سلطان الزمان. وهمست قائلة:

- استيقظ يا لايل أرجوك فالساعة تشير الى السابعة صباحاً.

تحرك لايل فانزلق الغطاء، وأسفر عن صدره العاري الكثيف الشعر. نظرت الى الملابس الموضوعة الى جانب السرير، تنهدت باضطراب عندما أحاطت ذراعاه خصرها محاولا ان يسحبها اليه. توسلت اليه قائلة:

- أرجوك. لا. . . عليك الآن ان تقوم بالتسجيل.

لكن جملتها تلك زادت من تمسكه بها فهمست لنفسها: يبدو انه نسي مهمته، ولا بد من وجود من يقوم بعمله، فأزاحت يديه عنها، واتجهت الى البرج.

وما ان دخلت غرفته المظلمة وهي تلهث حتى زحف الرعب في أعماقها، اذ غصت الغرفة بالآلات. شعرت ازاء المعطيات التي تسجلها الآلات برتابة بالخوف يشل حركتها لدقائق، لكنها تحركت بعد ذلك بسرعة باتجاه آلة نصف دائرية أنجزتها التكنولوجيا الحديثة، فأمسكت بالقلم الموضوع بالقرب من السجل الخاص بتقدم السفينة لتسجل المعلومات الحيوية. توقفت قليلا قبل ان تسجل ثم كتبت: ٦,٣٠ دقيقة، مقلدة خط لايل في السطر الأعلى وبالطريقة ذاتها قامت بتسجيل أحوال الطقس والغيوم، مستفيدة من المعلومات التي شرحها لها لايل بالأمس. فوجئت من سرعة استيعابها لعمل الآلات، وتيقنت ان الخبير لن يميز انها قامت بالتسجيل بدلاً من لايل هيمينغ. وبينما راحت تتأمل عن بعد ما سجلته سمعت صوتاً

اجش يسألها:

- بحق السماء ماذا تظنين انك فاعلة؟

ترنحت قليلا واستدارت تنظر الى لايل الذي ينظر اليها بسخط وأجابته بحدة:

- انني أقوم بالعمل الذي كان عليك القيام به منذ عدة ساعات.

فسألها بلهجة معادية، وهو يبعدها بيده، لتتفقد عيناه الصفراوان الآلات واحدة بعد الأخرى:

- ومن طلب اليك ذلك؟

اعترفت بمرارة وهي تخطو الى الخلف كي تدرأ غضبه:

- لم يطلب احد الي ذلك، ولا أهتم مطلقاً ان صدّق حرس الشواطىء المعلومات المدونة أم لا؟ لقد فعلت ما وجدته مناسباً.

لم تعلم كيف قالت ذلك وبلهجة تسوّغ ما فعلت، وسحبت نفسها من قبضته، وهي تقول:

- لن يضيرك ابداً يا استاذ ان قلت شكراً.

التقت نظراتها بعد ان فحص ما دونته، وأخذت أصابعه تعبث بشعره الأسود الكثيف اكثر مما عبث النوم به وقال:

- انني آسف.

لم تصدق ما سمعته، وما لبث ان تابع:

- آسف. لقد انصب جام غضبي عليك اذ شعرت بإهمالي. وأنا ممتن لك لما حاولت فعله.

وما ان سمعت كلمة «حاولت» حتى شعرت بالسخط يغلي في داخلها فردّت:

- أتريد ان تتفحص ما قمت به؟ ان هذا العمل كما قلت سابقاً لا يتطلب ذكاء بل انضباطاً في العمل.

لاحظت ان وجهه احمرّ تحت وطأة كلامها الأخير الذي قالته باصرار.

- لا تقلقي نفسك يا آنسة براون (أجاب بتهذيب وهو ينحني

فوق احدى الآلات) وعليك أن تتجاوزي حدود ذكائك ولاسيما عندما تمكثين في جزيرة روك.

تنفست بصعوبة وقد أثار سخطها من جديد، وهربت باتجاه السلم، ولم تسمع سوى صدى خطواتها. انهالت دموع الغضب، فغشت ناظريها وهي تهرب من البرج الى الصخور المفروشة بالطحالب ورددت: آه يا الهي كم أكره هذا النوع من الرجال!

أخذت تشهق عالياً وقد زادت صرخات النورس المذعورة من احساسها بغربتها في هذه الجزيرة.

٥- سهام الحب...

رتبت سالي غرفتها ثم أعدت فطوراً وقهوة، واذ بلايل يدخل المطبخ. لاحظت سالي بأنه قد حلق ذقنه، وارتدى قميصاً من القطن السميك البني، وسروالا سميكاً من القطن يشبه الى حد كبير ذاك السروال الذي كان يرتديه عند قدومها وقال:

- لقد أرسلت رسالة عن طريق الراديو الى رئيسك، وأخرى الى والديك.
- لوالديّ؟ لم أطلب اليك ان تفعل هذا.
- أعلم ذلك. ظننت أنك ترغبين في قضاء عطلة عيد الميلاد معهما، ربما لم تتمكني من ذلك، فسارعت في اعلامهما.

هزت رأسها ولم تجب بينما أخذ لايل قدحاً من الخزانة التي تعلو

المدفأة، وصب لنفسه قليلاً من القهوة، وجلس الى المائدة دون ان ينظر اليها.

عضت سالي على شفتيها، والاحباط الممزوج بالخوف مسيطر عليها. وبما لن تستطيع مغادرة الجزيرة قبل عيد الميلاد والعودة الى وطنها. لم يكن تصرفها مع غيره من الرجال اللذين التقتهم قبل الآن يسبب لها مشكلة. فلماذا تشعر بالاضطراب عندما تضطر لمعاملة الاستاذ هيمينغ. ..! لأنها لا تملك تلك الخبرة التي تمكنها من التصرف عندما تضطر للعيش المتلازم مع شخص مثله، فليس لدى المرأة أي مجال للاختيار العاطفي، فاما ان تحب الرجل او تكرهه لسبب من الأسباب. ولكنها الآن محط صراع بين عقل وعاطفة، فعندما يمنعها تفكيرها من الاهتمام بلايل، تدفعها عاطفتها لتخيل لحظات الحب التي عاشتها معه، ويداه تتجولان هنا وهناك توقظ أحاسيسها الدفينة. شدها من تأملها عندما قال عبر المائدة موجهاً الكلام لها، وهي ما زالت تدير ظهرها له، وقد نمّ صوته عن نفاد صبره:

- اسمعي! لقد قلت لك انني آسف. ان المعلومات التي سجلتها حسنة، وأنا نفسي لا أسجلها بطريقة أفضل.

دارت على كعبها لتواجهه وقالت له:

- اشكر لطفك يا سيدي. . . ان من دواعي سروري ان يعترف أحد بأن دراستي الجامعية تؤهلني للقيام بعمل ما.

أجابها، وهو يعني ما يقول:

- يا الهي. . . ان دراستك حقاً أهلتك لأشياء كثيرة، فأنت تفكرين بابداع يمكنك من التكيف مع مجتمع جديد.

تحدته قائلة:

- ألم تسفر تصرفاتي هذا الصباح عن ذلك؟
- أجل وبالتأكيد.
- اذن؟

- ماذا اذن؟
- لماذا لا تدعني أساهم في مشاركتك مسؤولية ادارة المنارة (قالت بحماس وقد أبدت رغبتها الملحة في ذلك وهي تقترب منه لتقف أمامه وجهاً لوجه وتابعت) سأصاب بالجنون اذا لم أشترك بعمل بناء خلال وجودي فوق هذه الصخور، وبامكانك التمتع بالحرية، واستغلال أوقات الفراغ، لتتابع تأليف كتابك اثناء وجودي هنا.

حدّق بها مفكراً، وومضت عيناه البنيتان وكأنهما تأخذان قولها هذا بعين الاعتبار لكنه هزّ برأسه أخيراً وقال:

- لا ان مسؤولية المنارة تقع على عاتقي وحدي.
- حسناً. ستبقى المسؤولية النهائية على عاتقك. ستقوم انت بتسجيل التقارير الأساسية. اما أنا فسأسجل الأمور الثانوية، ولن يعلم أحد بأنك لا تمارس العمل بنفسك هنا مدة أربع وعشرين ساعة.

أكد لها جبينه المقطب عن معارضته لرأيها، لكنه سرعان ما أجابها وهو يهز برأسه:

- حسناً ستعملين أنت خلال ساعات النهار، وسأتابع أنا العمل خلال الليل (ثم تابع مداعباً) شعرت من تصرفك هذا الصباح أنك تحبين الاستيقاظ باكراً، اما أنا فعلى عكس ذلك تماماً.

سرى في أعماقها شعور بالنصر ما لبث ان خمد في مهده، اذ تذكرت ان مشاركتها في ادارة المنارة يعني أنها ستكون وحدها في البرج خلال النهار عندما ينام لايل، او يستقل في غرفته ليؤلف كتابه. لم تعلم انه سيستجيب لرغبتها بهذه السرعة. أيقظ هذا القبول تأملات جديدة في ذهنها. ترى هل سيوافق على هذا الاقتراح لو اقترحته ماجدة نفسها، ام انه سيدرك ان اقتراحه ذلك سيحول دون لقائها في النهار.

مرّ هذا الخاطر في ذهنها بسرعة حتى انها لم تدرك انه شغل افكارها برهة. لكنها شعرت بالارتياح اذ حاولت ان تقنع نفسها انها لن

تجتمع بالاستاذ كثيراً من الآن فصاعداً. عرفت في سرها ان هذا النوع من الرجال سيسمم حياة امرأة مثلها معتدة بنفسها، على الرغم من ان حواسها كانت تدفعها اليه. انها تحتاج الى رجل مخلص لتنعم بالاخلاص الذي يتمتع به والداها معاً. لكن هذه الأمنية لا وجود لها في تفكير لايل هيمينغ نفسه.

لم تلاحظ سالي مدى أهمية العمل الذي ربطت نفسها به. لن يتطلب تسجيل المعطيات فطنة كبيرة كما أخبرها لايل بذلك في البداية. لكن شعوراً بالعزلة التامة والوحدة المفزعة أخذ يسيطر عليها كلّما دخلت غرفة البرج ليفتت تفاؤلها، كما تفعل قطرات الماء على الصخرة التي تنسكب عليها باستمرار.

زاحم زئير الرياح هدوء الضباب، وأخذت الريح تعصف بشدة حول البرج حتى خشيت سالي على اساساته المتماسكة، كما هدد زئير الريح أعصابها المهترئة ولكن لِمَ الخوف هكذا؟ وكيف ستتصرف في المنزل الرئيسي الأقل تحصيناً؟ وما لبث الريح الحقود أن عبث بثيابها، وقد أخفضت رأسها لتسجل في الدفتر الرئيسي ملاحظاتها، وهي تفكر بسلامة عقل أولئك الأشخاص الذين لا تمت حياتهم بصلة الى مثل هذه الأعمال فوق الجزيرة.

قررت سالي بأنها لن تبوح بمخاوفها الى لايل هيمينغ ولو رجاها أهل الأرض والكواكب الأخرى. ولا تدري ما الذي يجعلها تبتلع مخاوفها، عندما تجتمع به لتناول وجبة الطعام الوحيدة المشتركة بينهما.

لم يبد لايل أي تذمر من الرياح المزمجرة. وكم من مرة لعنت سالي في سرها خضوع امه وزوج اخيه هذه الظروف القاهرة دون شكوى.

اقتنعت في سرها ان لايل يخضعها لتجربة ما، ليرى مدى تحملها للظروف القاهرة التي قد تعترضها. أصبح ذهابها للبرج كل ثلاث ساعات ذا أهمية كبيرة في حياتها، وتوزعت أوقاتها بين اعمال البرج وأعمال اخرى في المنزل. وفي المساء اشتركت مع لايل في العاب

مسلية كالنرد، والورق، والشطرنج، فأضفى ذلك عليهما راحة تامة. اذ خلصتها التسلية من التفكير في عملها في المنارة. كما بدا الارتياح واضحاً على لايل، وهو يركز جلّ اهتمامه على حجار الشطرنج، يحركها بأصابع ماهرة فينتصر عليها في أغلب الأحيان. ومن المدهش ان ذلك زاد من اهتمامها بتكرار المباريات لعلها تربح احدى الجولات في المرات المقبلة. وكم من مرة تسلل الى ذهنها التفكير بالغد حيث باتت تخشى البقاء بمفردها وحيدة في المنزل الذي بدا كالسجن عندما يغادر لايل الى غرفته. وكثيراً ما تمنت ان تجلس مع هذا الرجل الذي أيقظ أحاسيسها، وتركها متأرجحة بعنف ذات اليمين وذات الشمال. رسخت عناقه في ذهنها حتى باتت تستعرض هذه الذكرى مراراً، وهي تحرك أبطالها فوق رقعة الشطرنج، وكثيراً ما تنتابها موجات من الغيرة من عمله الذي انكب عليه.

هبت ريح عاصفة حقود في مساء الليلة الرابعة لاحتجازها فوق الجزيرة، وأخذت النوافذ تطقطق في غرفة الجلوس، فارتجفت سالي وهي تنظر الى الوراء وهمست:

- كأن وحشاً يحاول اقتحام الغرفة.

- وهل شعرت بالخوف منه؟

أجابها بنبرة محملة بالدهشة مما جعلها تنظر اليه عبر المنضدة المنخفضة فأجابته بحدة وسخرية:

- طبعاً لا. انني أصبحت مهيأة نفسياً لعنف الرياح، واعتقد انها ستقتلع المنزل وترميه في البحر ونحن بداخله.

ومضت عيناه وأجابها:

- لكن المنزل تعرّض لهجمات أقوى من هذه، ومع هذا فهو صامد منذ غابر الأزمان (نهض ونظر متفرساً في وجهها، وتابع) الحقيقة انني مندهش لأن الريح أخافتك الآن، في حين تحملت أنواء أسوأ قبل الآن، واني لا أعرف أية امرأة أخرى تتحلّى بالشجاعة مثلك... اذ ان المنارة لا تروق لأحد اثناء العاصفة.

استدار بسرعة، فلاحقته نظراتها مسرعة وهو يخرج من الغرفة.
ترى هل شعر بالخجل لاعترافه بشجاعتها، أو لاعترافه بتقديره لها كامرأة؟ ترى هل تملقت له الفتيات وأفسدنه بدلالهن، فغدا لا يحترم المرأة كشخص ذي قيمة وفكر.

عاد الى الغرفة يحمل لها شراباً وقال:

ـ مع ان ارضاءك أمر صعب، لكن أعصابك سترتاح ان شربته.

اطبقت أصابعها على أسفل الكأس وقالت:

ـ لماذا تتهمني دوماً بأنني صعبة الارضاء؟

تراقصت بسمة على شفتيه، ونظر الى كأسه فحالت أهدابه السود الكثيفة دون رؤية نظراته وقال:

ـ ألست كذلك؟

ـ لا أعتقد.

ـ لا تخطئي فهم أقوالي. ان المرء يعبر عن صعوبة ارضائه بعدة طرق. فمهما عبثت المرأة، فانها تتمسك بالأراء التقليدية المثل عندما تقوّم تصرفات غيرها من النساء.

نمّ استنشاقها للهواء عن سخطها، واحتست دون ان تنظر الى الكأس ما بقي من شرابها، وعندما شعرت بالارتياح قالت:

ـ انك تحتقرني.

ـ لماذا؟

ـ لأنني لا أعبث يا أستاذ كما تتهمني.

تضرّج وجهها بلون احمر بتأثير الشراب والخوف معاً، وومضت عيناها باحتقار ونظرت اليه. وما ان رفع رأسه وحدق في عينيها الخضراوين، حتى شعرت بصعقة كهربائية تسري في اعماقها.

اما هو فأجاب برقة:

ـ لا!

ـ ماذا تقصد بلا؟

ـ انك يا سالي براون لؤلؤة نادرة في مجال عملك، على الرغم من

انني لم ألمس هذا اثناء التقائنا الوثيق.

ـ انك لا تحتمل حقاً (أجابت وقد صكت أسنانها، فنهضت ووقفت أمامه كالند للند وتابعت) ان كبرياءك اسوأ الأنواع، وتقويمك للناس يعتمد على ما يفعلون، هناك العديد من الصحفيين والصحفيات الذين يستغلون عملهم كيفما اتفق، كما ترى في ميادين الأعمال التجارية الأخرى، ولكنني لحسن الحظ لم اشأ ان أكون واحدة منهم (اقتربت منه خطوة أخرى وأردفت) كما انني اعرف الكثير من ابناء مهنتي الذين يتحلون بأخلاق فاضلة تفوق ما تحلم به أنت يوماً.

ثار بركان غضبها، ولم تستطع السيطرة على أعصابها، ولم تنفعل هكذا قبل الآن، كما لم تكن مستعدة في خضم هذه الثورة لتقبل يد لايل التي تسللت حول خصرها ولفتها كما تلتف الحية حول نفسها. جذبها اليه وشعرت، وهي ما زالت ترتجف، بدفء صدره الملامس لصدرها، وهمس مداعباً بصوت أبح:

ـ هل لي ان اعترف لك بجمالك عندما تغضبين! (ثم تابع) حسناً انك يا سالي براون... جميلة جداً بوميض عينيك الخضراوين، وجلدك الناعم كنعومة البراعم المتفتحة في الربيع...

تصلبت محاولة ان تدفع عنها كتفيه اللامتزحزحتين الى الوراء، ولكن عبثاً اذ اخذت يداه تلمسان شعرها الذي بدا كالحرير، واستمر في مداعبتها حتى كادت أنفاسها تنقطع، ولم تجد للاعتراض سبيلاً. خذلتها قواها فاستسلمت للموقف...

لم تسمع زئير الريح، ولم تلق بالاً لقوته الهائلة التي كادت ان تطيح بأساسات المنزل المعزول فوق الجزيرة، بل هامت في عالم رائع شيده لايل خلال دقائق، فأطلقت لأحاسيسها الدفينة الحنان دون تفكير بالأمس أو بالغد.

رفع رأسه ونظر في عينيها، وهمس بصوت أبح مترفد:

ـ يجب ان اذهب الى البرج الآن. هل ترغبين ان اعود؟

فهمت سالي ما يقصده لايل من سؤاله. فقد أمضى الليلتين الماضيتين في غرفة الساعد ينام طويلاً، ويكتب كثيراً. انه يسألها الآن ان كانت ترحب بعودته. رفعت عينيها بدافع من أحاسيسها، ورب نظرة معبرة أفضل من حديث طويل، وهزت برأسها ايجابا دون ان تتفوه بكلمة.

تملّت جميع ارجاء المنزل بالصبر منتظرة عودته. . . وأيقنت سالي الآن انها كانت تنتظر لايل طوال حياتها، وسرت اذ اعترفت لنفسها ودون حرج ان لايل فارس أحلامها بدرعه البراق، وانه تتويج لأحلامها الوردية، على الرغم من أخطائه، أيعصم بشر من الخطأ؟ أيتمتع أحد بصفات ملائكية؟ انها متأكدة أن لايل لا يكنّ للنساء العابرات اللواتي مررن بحياته أية عاطفة تذكر، لكنها متأكدة من عاطفته لها التي تنبعث من الأعماق، وستكون هذه الأمسية شاهدة على حبهما الرفيع. تراقصت ابتسامة على ثغرها وهي تشعر بيد الحب تطرق قلبها. وضعت مزيداً من الحطب في المدفأة، وأغلقت الأبواب الزجاجية وما زالت تفكر ان هذه اللحظة هي نقطة البداية في حياتها، وها هو حبها الدفين للايل طوال سنوات خلت يعلن ولادته. ان مجابهتها لطريقة حياته دليل لغيرتها التي دفعتها للانسحاب من عالمه، كيلا تشعره بأنها احدى متيماته.

صعدت السلم حالمة. انه ماثل في تفكيرها والى الابد. قارنت بينه وبين معارفها من الرجال، فوجدت ان أثر لايل فيها متميز، ولم يسبقه أحد اليه، اذ لم يستطع احدهم ان يبدل آراءها بهذه الجدية من قبل، ولم ينجح أحدهم في جعلها تحيد عن الطريق القويم الذي رسمته لمستقبلها بدقة. ستتزوج رجلاً يبادلها الحب والاحترام لتنجب منه أطفالاً، وتؤلف أسرة سعيدة، وتتابع سير عملها حتى تتبوأ مركزاً مرموقاً.

افتر ثغرها عن ابتسامة، وهي تتخيّل الزوجات اللواتي يشاركن أزواجهن بنشاط في حياتهم العملية. لن يحتج لايل على ان تكون

زوجه. . . آه زوجه. . . خرجت من الغرفة، ومضت الى غرفة نومها، فأمسكت بثوب نومها الأخضر، وشدت عليه بأصابعها. لم يفكر لايل بالزواج حتى الآن. ولا يبدو مستعداً لتغيير أفكاره، فلم يبح لها بحبه، كما انه لم يذكر شيئاً عن الزواج. انه يهتم بها بطريقة معينة. لا بأس، ليس الاعتراف من طبعه. ترى أتتورّط معه اذن؟ استقرت هذه الفكرة في ذهنها وهي تدور في الغرفة، ولم تفكر بشيء سواه وهي تنظف أسنانها. هل دعته للعودة لتتخلى عن كل شيء حافظت عليه طويلاً؟ ترى أتستطيع اقناعه بأن يصونها؟ لا انها لن تستطيع مقاومته؟

اندفعت تخرج من الحمام عندما سمعت خطاه على السلم. لكن أفكارها القلقة تلاشت عندما نظر الى عينيها، ووميض خاص يشع من عينيه وهمس:

- انك حقاً جميلة!

تنهد بعمق دون ان يقترب منها، بل فتح ذراعيه وكأنه يتيح لها ان تقرر فيما لو رغبت ان ترمي نفسها بين ذراعيه.

خطت سالي خطوة الى الأمام، وشعاع عينيها عانق شعاع عينيه، فاحتضنها بدفء. . . وطارا في عالم من الواقع الشبيه بالأحلام.

لكن ضوءاً أصفر قوياً انعكس على الغرفة، فهمست سالي بخوف، ما هذا؟ تكرر ذلك الوميض في الغرفة. انه ليس ضوء البرج، فقال:

- لا بد أن أحداً يلاقي بعض المتاعب. ابقي في المنزل.

وهبط السلم. وتناهى صوت خطواته المسرعة الى سمع سالي، قبل ان يصفع الباب الأمامي.

جلست سالي في السرير، وما زالت أعصابها ترتجف عندما لمع ضوء أبيض في الغرفة، فهبّت واقفة وركضت باتجاه النافذة.

توهجت أضواء البرج الكاشفة في ثورة تعمي العيون، وتسلل ضوء كاشف من خلف الصخرة، فاستطاعت بجهد ان تميز جسم

لايل. آه... ها قد عاودت الريح زئيرها... فتذكرت انها لم تنتبه لزمجرتها منذ لحظات. ابتعدت عن النافذة، وهي تشعر بخوف من الريح. يا الهي انقذ هؤلاء البحارة. تخيّلت منظر رجال يصارعون الأمواج، وقد انقلب بهم القارب.

عقدت يديها على صدرها، واخذت تتأمل الغرفة المريحة... لكن شعورها بالذنب لتطور علاقتها مع لايل، زال ازاء تفكيرها بانقاذ هؤلاء الرجال، والاعتناء بهم في هذا المنزل.

تجاهلت تعليمات لايل بأن تبقى في المنزل، وهرعت الى غرفتها، وارتدت ملابسها بسرعة، وهي في طريقها الى الخارج. لا لن تبقى هنا تنتظر غرق الرجال في مياه المحيط التي تبعد عنها نصف ميل فقط. لا بد من ان تفعل شيئاً.

خرجت مسرعة الى الخارج، فطالعها ضوء لايل الكاشف متذبذباً فتأكدت ان لايل بسرواله السميك وسترته المقلمة يشعر بالدفء. وقفت فوق قمة الصخرة، وهي تحمد الله الذي منّ على أهل السواحل ببصيرة للاحتفاظ بالأضواء الكاشفة في متناول اليد. سلطت ضوءها الى أسفل الصخرة حيث شاهدت لايل، ثم وجهته الى مياه المحيط.

لم تظهر أية اشارات ضوئية أخرى تحدد مكان القارب. ولم تضىء الأنوار الكاشفة سوى زبد الأمواج المتدفقة. وجهت الضوء باتجاه لايل، فادركت انه انتقل من مكان على السلم الى قمة صخرة منخفضة، فشعرت بخطر الامواج المتلاطمة الخانقة يحيط بلايل في وقفته هذه دونما تفكير، فانطلقت تهبط السلم وهي تناديه من الأعماق. لكن الرياح الساخرة ألقت كلماتها في خضم المحيط.

وبينما كانت تركض لاهثة، زلت قدمها واستطاعت بصعوبة ان تنقذ نفسها، فأمسكت بالدرابزين الذي كان لحسن حظها الى يمينها، والا لاضطرت بشكل آلي ان تمسكه بيدها المضمدة. تدحرج الضوء الكاشف من يدها، واختفى فوق السلم بلا صوت. زمجرت الريح

واندفعت حولها، حتى شعرت انها تلتقط انفاسها بسرعة، فأمسكت بالحاجز بقوة وحدقت في الظلام. ترى هل ما زال القارب التعس هنا عند الصخور؟ ام دفعت الأمواج به الى الشاطىء الصخري في الجنوب؟ ان كان هذا قد حصل، فان لايل يعرض حياته للخطر دون جدوى.

تلمست خطواتها بحذر الى الأسفل. وشعرها يتناثر فيدخل في عينيها وفيها. بدا لها الوقت طويلاً، كأن سنوات قد مرت دون ان تصل الى أرض المحطة، وتوقفت برهة لتتنفس. وجّه لايل ضوءه الكاشف للأمام والخلف، فأعجبت سالي باخلاصه وثقته بأنه سينقذ الرجال الذين كانوا سيلاقون حتفهم لولا وجوده في هذا المكان. صرخت بقوة:

ـ لايل!

رأت الضوء يوجه الى مكانها، ويبدو أنه لاحظ وجودها وهي متمسكة بالحاجز فتناهى الى سمعها عبر الرياح صوته يأمرها:

ـ عودي... عودي...

لكن سالي مشت فوق الصخور متجهة اليه، وكأنها تريد اتمام رسالة تقوم بها. احاطت بقدميها المياه وهي ترغي وتزبد، الى ان تمكنت من الوصول الى الصخرة المدورة الملساء التي وقف فوقها لايل. لكن قسمات وجهه عبرت عن غضبه لرؤيتها وصرخ:

ـ ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟ (وما زالت يداه تتحركان بشكل آلي) قلت لك ان تبقي في المنزل.

حاولت ان تحد من تطاير شعرها وصرخت بعنف:

ـ عد معي يا لايل أرجوك! لا يوجد شيء هنا!

لم يجبها بل تبعت نظراته المتجهمة أضواءه الكاشفة، فلاحظت سالي انه يراقب شبح قارب بشراعين يحوم بفزع في الظلام، ويبدو مهتزاً تحت أنوار البرج البعيدة جداً. تناهى لها صوت لايل الحاد:

ـ عودي... افسحي لي المجال... علي ان اهتم بأشياء كثيرة،

بدلا من أن أشغل نفسي بانقاذك!

أدارت رأسها كي تنظر اليه، فرأت قسمات باردة في عينيه. عاودت صعودها السلم دون ان تتفوه بكلمة، وهي تمسك بالحاجز، وتقف عند السلم لتتابع رؤية هذا المشهد المسرحي. لم تفكر في تلك اللحظة ان هذا المشهد سيكون ذا أثر فعال في مقالها عن المنارات، اذ سيطر عليها شعور بالوحدة، شعور متيمة ترى حبيبها يضحي بحياته لانقاذ الآخرين. لقد خشي عليها ان تتعرض للخطر فأمرها بالابتعاد. الا يفعل هذا كل محب؟ ملأها هذا الخاطر بزهو المنتصر الذي يفخر بحبه، فطرد فزعها لعدة دقائق. حدقت بعدئذ بالقارب الذي لاح أمامها، وميزت اشكال دمى متحركة، ظنت انها أفراد الطاقم يصارعون دون جدوى الأمواج العاصفة. قفز قلبها بين أضلاعها، وتابعت المشهد بلمح البرق حتى انها لم تجد وقتاً للتفكير المتسلسل. سمعت صراخ واحد أو أكثر من أفراد الطاقم، وهم يطلقون صيحات ذعر يتشبثون بالصخور خوفاً من ان تبتلعهم الأمواج بين طياتها. حاولت ان تضع يديها على أذنيها كي تحول دون سماع الصرخات... لكن شيئاً في أعماقها لن ينسى أبداً، مهما دارت عجلة الزمان، تلك الصرخات المستغيثة.

انبطح لايل فوق الصخرة ملبياً النداء، ومد يد العون محاولاً انقاذ الاشخاص، غاصت يداه في مياه المحيط وقد انتشل رجلين في لحظة واحدة. ثم قذفت الأمواج له شخصاً ثالثاً فوق الصخور الآمنة. شعرت سالي باليأس يسحقها، لانها لم تتمكن من المساعدة. لكن تحرك شيء ما الى يمين لايل، جعلها تنزل يديها عن أذنيها، وتنظر بفزع أمامها.

وبسرعة انزلقت فوق الطحالب الخضراء التي غطت الصخور، وغاصت بعيداً عن الرصيف الذي وقفت عليه مجازفة بنفسها كي تمسك برأس شاهدته من مكانها ذاك، والأمواج تدفعه الى الأعلى والأسفل. سقطت فوق الصخور الحادة الأطراف، فجرحت

أطرافها، لكنها شقت طريقها متابعة الى المكان حيث رأت رأس الشخص...

صدر عنها أنين، وهي تنظر مذعورة الى رغوة الماء المتدفقة، اذ ابتلعت الأمواج الرجل الذي حلمت بانقاذه.

صرخت مرة أخرى بلهجة متضرعة واهنة عندما لاح لها الجسم الاسود على سطح الماء مرة أخرى. مدت يديها الى الماء، فأمسكت بجسد الرجل المرتدي قماشاً أسود، والذي بدا لها ميتاً.

صرخت من أعماقها تنادي لايل، لكنها ظنت أن لايل لم يسمعها، ثم ما لبث ان أدركت أن لايل الى جانبها (اذ شعرت ان وزن الشخص قد خف في يديها اللتين حسبت ان الأمواج قد اقتطعتها) وسمعته يقول لها:

ـ اسحبي عندما أقول لك.

لكنها شعرت بتجمد يديها، وغدت أطرافها عاجزة عن مشاركتها تنفيذ أوامر لايل. تغلبت على موجة اليأس التي اعترتها، وقررت ان تصمد حتى تنفذ التعليمات التي ستسمعها من لايل... وعندئذ هتف لايل:

ـ اسحبي الآن...

وبعدما تم انقاذ الرجل الذي يزيد طوله عن ستة أقدام، ووضع على الصخور التي تعد بالأمان، أخذ الهواء يدخل رئتيها متعثراً، كما يتنفس الحوت على الشاطىء. فكرت انها بمرور الأيام ستتذكر هذه الحادثة بروح من الفكاهة.

مرت الأحداث كتيار بارد، ولم تتذكر سوى انها بدأت تصعد باتجاه المنزل.

وفجأة لم تعد تتذكر ما حدث بعد ان وصلت الى القمة. اذ شعرت ان احداً قد حملها، والريح قد هدأت للحظات، وثيابها المبتلة قد نزعت عنها. وقد تم تضميد يدها من جديد، وموجات من الشتائم تنهال عليها، فشعرت أنها ارتكبت خطأ ما... لكنها لم تستطع ان

تصم أذنيها عن سماع صرخات الفزع المحمومة، دون ان تمد يد العون. ترى هل استطاعت انقاذهم، وهمست:

ـ اني آسفة... لقد حاولت ان...

لكن قسماً ترامى الى سمعها بلهجة أقل اضطراباً حال دون متابعتها الاعتذار. وما ان أنهى لايل قسمه، حتى شعرت بيديه تمسحان وجهها برشاقة... وتبعدان خصل شعرها عن وجهها، وأخيراً وقبل أن تغوص في بحر اللاشعور... لمست وجنتيها شفتاه الحبيبتان اليها.

٦ ـ الاصرار الأحمق

ايقظت اصوات النورس سالي من نومها العميق الذي لم تنعم بمثله في حياتها، وأخذت ترفرف عينيها من مشاهدة الضوء الرمادي الذي عم الغرفة الصغيرة، وتذكرت انها مكلفة بمهمة من اجل المجلة.

ألقت الأغطية جانباً، ونهضت من سريرها متجهة نحو النافذة في زاوية الغرفة. لكن المنظر الذي امامها ذكرها تماماً بما حدث، وحلقت الطيور فوق الصخور المتعرجة، تطلق زقزقات بسيطة كلما استقرت بين الصخور التي اعتبرتها اعشاشاً لها. تذكرت انها في جزيرة روك بصفة مؤقتة لتنهي مسلسلها المتعلق بمنارات الشاطىء الشمالي الغربي. وتذكرت بسرعة لايل هيمينغ المسؤول حالياً عن

المنارة، وأن مصيبة اجتاحت جزيرة روك مساء الأمس.

طوت اصابعها في راحتها، وتذكرت كم كانت اصابعها قاسية كالاسمنت عندما امسكت بسترة الرجل المنكوب. زاد جرحها المفتوح ايلاماً، واعترتها موجة من اليأس. ترى ما هو عدد الأشخاص الذين انتشلوا من مياه المحيط اثناء العاصفة التي حدثت ليلة الأمس؟

اعتراها الخوف، ولكن الفضول لمعرفة ما حدث زادها حماساً، فارتدت باضطراب سروالاً وقميصاً أخضر وأبيض، وحاولت الا تنظر الى غرفة النوم الرئيسية عند ذهابها وايابها من الحمام، لأن تلك الغرفة تذكرها بلحظات لا تريد ان تواجهها الآن. وعندما انتهت من ارتداء ملابسها وفي طريقها الى الطابق الأسفل، لمحت عيناها جثة ضخمة على السرير. ترى هل صارع هذا الرجل الموت كي يستقبله لايل هنا فوق هذا الفراش؟ وفي هذا البيت الآمن؟

اقتربت من السرير ببطء، ونظرت مدة طويلة الى الشعر الأشقر قبل ان يشعر الشخص بوجودها، ثم فتح عينيه وحدق بها دون ان يفهم ما يدور حوله. كانت عيناه الزرقاوان اللتان لم تر قبل الآن مثل صفائهما، اشبه بأزهار بنفسج تتفتح في الربيع بعد سقوط المطر.

قالت بفتور تحية:

- مرحباً. كيف تشعر الآن؟

- ان رؤيتك جعلتني اشعر بتحسن كبير.

حملت عيناه الذابلتان اعترافاً بالجميل، وهما ترنوان الى ياقة قميصها المفتوحة، والى عينيها الخضراوين.

- كنت سأغرق والاقي حتفي لا محالة.

اقشعر جسم سالي وقالت بحدة:

- لا تقل ذلك.

لم تشأ ان تكون قاسية وتخبره انه لولا لايل لكان الآن في اعماق المحيط كباقي رفاقه.

اجابها:

- وهل لايل هذا زوجك؟ اياك ان تقولي ان فتاة احلامي متزوجة.

اجابته بنزق، وهي تخطو مبتعدة عن السرير وكأنه مصاب بمرض معد:

- لا لست متزوجة. إن لايل هيمينغ هو المسؤول عن المنارة أثناء غياب اخيه جون هيمينغ المدير الحقيقي للمنارة.

- اذن، ان لايل هذا بديل من اخيه هنا.

دكن لون عينيه، ونهض من السرير وشدها من معصمها بقوة جعلتها تشعر أن معصمها تحرك من مكانه (وانتبهت ايضاً الى انه كان عارياً حتى وسطه. تغطي صدره كتلات من الشعر الأشقر، فبدا ذا حيوية ورجولة) وقال:

- اخبريني من انقذ ايضاً القبطان برادشو وفيل كورنينغ وجاك اونيل.

ابتعدت سالي، وهي تقرأ رغبة ملحة في عينيه الزرقاوين اللامعتين وأجابت:

- انا لا اعلم. . . (اعترفت بالحقيقة) كنت في طريقي الى الطابق الأسفل لأعلم ما حدث. وما ان تمت عملية الانقاذ بالأمس، حتى اغمي علي، ولم اعرف ما حدث بعد ذلك!

عقد ما بين حاجبيه الكثيفين وسألها ساخراً:

- وهل تعنين انك اشتركت في عملية الانقاذ؟

سحبت يدها بقوة وقالت:

- لا. . . ليس على وجه التحديد.

لكن صوتاً آخر تعرفه جيداً اجاب من الممشى بالقرب من الباب:

- نعم. لقد اشتركت فعلاً.

نظرت الى الوراء، لترى عيني لايل المتعبتين وآثار العناء بادية عليه، وفمه متصلب، ويشع من وجهه بريق يحيطها عناية وحناناً. تجمد

صوتها في حنجرتها ونظرت اليه، كأنها مخدرة الشعور، عندما اقترب من السرير قائلاً بحدة للعملاق الأشقر المضطجع على الوسائد:
- انك مدين بحياتك الى الآنسة براون. لو لم تمسك بك حتى اتيت انا لسحبك، لكنت الآن في عداد الأموات.
توقف قليلاً فنظر اليه الرجل بعينين ضيقتين وقال:
- وهل تعني انكما لم تنقذا احداً غيري؟
اجاب لايل بقسوة:
- لقد انقذ برادشو ايضاً دون سواه.
اشاحت سالي بنظرها كيلا ترى التعابير المؤلمة التي ارتسمت على وجه الرجل ثم تمتمت بعض الكلمات المواسية، وخرجت من الغرفة تاركة لايل يزيل أحزان الرجل اليائس.
نزلت الى المطبخ، وهي تفكر بعظيم مصاب هذا الرجل الذي لاقى رفاقه مصرعهم بتأثير العاصفة. امسكت بابريق القهوة، وحمدت الله لأنها وجدت به مزيداً من القهوة. غاصت في كرسيها تتكىء بكوعها الى المائدة، وتحتضن القدح براحتيها. ترى هل كان عليها ان تبقى الى جانب لايل تدعمه معنوياً، اذ ان علامات الارهاق بادية عليه، ولم تلحظ اي بريق في عينيه يشير الى ما حدث بينهما من الفة ومودة.

ترى ايدهشها ما حدث بينهما في غرفة النوم الرئيسية، حيث يضطجع هذا الرجل الأشقر الغريب. انها متأكدة ان لايل امضى الليل ساهراً يعتني بالمجروحين. ترى هل تتصرف مثله فيما لو كانت بدلاً منه. يبدو لايل منهكاً، ولو انه نام قليلاً، لما ظهر عليه هذا الاعياء. لقد اثقلت كاهله هي ايضاً عندما فقدت وعيها وهو في امس الحاجة اليها.

هبت مسرعة من مقعدها عندما وقف بالباب يسألها:
- اتودين تقديم القهوة لي؟
نظرت في عينيه وقالت:

- يسرني ذلك. . . اجلس هنا. . . سأحضرها لك.
سحبت كرسيه المعتاد، وأشارت اليه بأن يجلس بينما امسكت هي بابريق القهوة، وأحضرت قدحاً من الخزانة، وملأته بالقهوة المنشطة.
فقال والتعب باد عليه:
- اشكرك.
واحتسى القهوة بسرعة.
ولأول مرة منذ عرفته، شعرت سالي بالخجل وهي تجلس أمامه وجهاً لوجه. فما زالت استجاباتها الحسية والعاطفية له ماثلة في مخيلتها، لكن حوادث المساء واضطرارهما لمجابهة الحقيقة القاسية، طغت على تلك الذكرى. لاحظت ارتعاش يديها وهي تعاود احتضان قدحها. وسألته:
- كيف تلقى الرجل خبر رفاقه؟
هز بكتفيه كالمعتاد وأجاب:
- هل تظنين ان تلقي نبأ انقاذه ورفيقه فقط من اصل ستة اشخاص ركبوا السفينة أمر سهل. سيشعر فيما بعد بالذنب والتساؤل، لماذا منح هو دون الآخرين نعمة الحياة!
اتسعت عيناها وهما تحدقان بأهدابه السود التي لا تتناسب مع وجهه. بدا لايل كأنه اخترق أعماق الرجل، فأدرك تماماً شعوره. لكن الأمر كان أكثر من ذلك.
سألته بطريقة ودية:
- هل تناولت طعاماً؟
نظر اليها، وقد اختفى البريق من عينيه.
- لا. ان الأمر الأهم الذي أفكر به، هو كيف سيواجه برادشو ونيلسن الحياة، اذ اعتقد ان برادشو هو قبطان القارب المنكوب. وسيضطرب لما حدث.
وضعت سالي قدحها، واخرجت من درج تحت الموقد مقلاة ثقيلة

وقالت بنزق:

- عليك ان تقوم بعملك هنا، وان تتجاهل ما حدث بالأمس.

مر في ذهنها خاطر، فاستدارت وهي تقف أمام باب الثلاجة المفتوح لتسأله:

- هل قمت بالتسجيل هذا الصباح؟

اكد لها لايل، وقد بدت الدهشة على قسماته:

- أجل... فأنا مسؤول عنها كما تعلمين.

فتابعت بذكاء وهي تخرج البيض من الثلاجة:

- ان تحمل المسؤولية الى حد معقول مفيد للانسان، لكن تحمل مسؤولية تفوق طاقته قد تؤدي الى تدميره. كيف تحب البيض؟

أجاب بنبرة ضاحكة:

- أحبه أصفر كقرص الشمس.

أبعد كرسيه، ووقف بالقرب منها ومن الموقد، ثم امسك بابريق القهوة، وكأنه تذكر جرح يدها فسألها:

- كيف حال يدك اليوم؟

وضعت له شرائح اللحم قبل ان تنظر اليه، وقد ارتسمت دهشة على ملامحها، وقالت:

- لم يتح المجال لي حتى الآن لأفكر بيدي. (نظرت الى الضماد الحديث وأضافت) أعتقد انها مجروحة ومخدرة الاحساس، لكنني سأعيش على كل حال. انني آسفة لقد تصرفت بحماقة الليلة الماضية، ولا أعلم لم فقدت وعيي عندما كانت المشاكل تثقل كاهلك (أنهت كلامها باعتذار لطيف).

أجابها بهدوء:

- لقد فقدت وعيك لأنك سببت فتح الجرح ثانية، ونزفت الكثير من الدماء. أمل ان يعترف صاحبنا المستلقي في غرفة النوم بما تحمله لانقاذه.

أجابت ببساطة:

- انني مسرورة جداً لكونه ما زال حياً.

لم يكن من السهل عليها ان تركز اهتمامها على المقلاة. اذ أخذت يداها ترتعشان وهي تفقس البيض فوق اللحم مندهشة لمحافظة الصفار على تماسكه. لماذا لا يذهب لايل الى المائدة ويبتعد قليلاً؟ انها لا تستطيع التصرف بيد مجروحة دون ان تستعين به. لكنها ما لبثت ان شعرت بيديه الدافئتين ترفعان شعرها الكثيف عن عنقها، ليداعبها بأنفاسه الدافئة.

ارتجفت قائلة:

- لايل... أرجوك...

لكنه رد عليها بطريقة فعالة، اذ طوقها بذراعيه وطمر رأسه في شعرها وقربها منه حتى انها لم تستطع التنفس... فهمست: لايل... وكالعادة استسلمت لعناقه دون مقاومة تذكر، ولفت ذراعيها حول عنقه... ولكنها شعرت بالذنب. أيتبادلان العناق ولم يمض بعد على هلاك الأشخاص الا ساعات قليلة! غير ان عاطفتها كانت أقوى، فاستجابت بكل قواها له... انها... انها تحبه... وتشعر ان كل خلية من خلاياها تنبض بحبه.

وفجأة حال بينهما صوت أجش، اذ وقف الرجل الأشقر بالباب يقول:

- هل تريدان ان نموت احتراقاً هنا؟

نظرت سالي الى الباب، ومن ثم الى المقلاة التي أخذت تئز على الموقد، وقد تصاعد دخان رمادي مما تبقى من فطور لايل. وبشكل آلي أمسكت سالي بالمقلاة، فأخذها لايل من يدها وهو يقول:

- حسناً سأعد ذلك بنفسي.

ثم أطفأ الموقد ببطء، وحمل المقلاة وخرج من الباب الأمامي، متخطياً الرجل الأشقر الغريب.

انتابتها الدهشة عندما رأت الرجل وقد لف وسطه بملاءة، وترك صدره عارياً، فبدا لها منظره مضحكاً، لكنها لم تكن في حالة تسمح

لها بالضحك، حدق بها بعينيه الزرقاوين القاسيتين اللتين حلتا ضحكة جنونية مؤكدة انتباه صاحبها الى الاحمرار القوي الذي صبغ وجهها، والى ارتعاش يديها الموضوعتين على خصرها.

ارتاحت لدخول لايل ثانية الى المطبخ، ولو لم يكن يحمل المقلاة معه. سألته واليأس يعتريها:

ـ كيف ساحضر الفطور الآن؟

تجاهل لايل الرجل وقال مخاطباً سالي:

ـ يوجد في درج الموقد مقلاة أخرى (ثم مشى نحو الدرج وأخرجها. وقال آمراً الرجل) عد الى سريرك، وسأحضر لك فطورك.

نظر نيلسن بعينيه الزرقاوين وقال غاضباً:

ـ ليذهب السرير الى الجحيم.

ثم مشى الى المنضدة وجلس بتثاقل مكان سالي وتابع:

ـ ان الأسرّة معدة للموت، ولا أرغب في ذلك الآن. بامكانك انت ورفيقتك ان تتابعا غرامكما بعد ان أتناول فطوري، وأستعيد ملابسي.

أطبق لايل فكيه بغضب، وخطا الى الأمام محملقاً بالغريب. لكن سالي وقفت بينهما وسألت نيلسن:

ـ أتريد قليلا من القهوة ريثما أحضر فطورك؟

رماها بنظرة شذراء وسألها مشيراً الى لايل:

ـ وهل ستعاملينني كما عاملته أثناء تحضير فطوره؟

ـ لا... لن يحصل ذلك أبداً.

صعقه جواب لايل الفولاذي هذا على مسمع سالي، ونظرت اليه وهي تأمل ان تجد سبيلا للحيلولة دون اصطدام هذين الرجلين. اذ سيكون لايل ضحية اي عراك ينشأ بينهما. ان لايل رجل قوي في الأحوال العادية، لكنه بالمقارنة مع هذا الصياد الضخم، يبقى

المثقف المحب للقيم الجمالية.

قالت محاولة ازالة التوتر:

ـ هل تعلم يا سيد نيلسن اننا سنتزوج عما قريب؟

تحاشت نظرات لايل اليها بعد ان رمت تلك القنبلة، وضحكت شاعرة براحة تسري في أعماقها، وهي تنظر الى قسمات نيلسن الذي شعر بالارتباك المخجل والحرج.

فقال مخاطباً لايل، وقد أمسك بالمقلاة بيد ومد الأخرى مصافحاً:

ـ ولماذا لم تفصح عن ذلك؟ انني أعتذر ايها الرجل. لقد ظننت انك تمضي اياماً رائعة في هذه الغرفة... كما أرى...

شددت سالي قبضتها على أصابعها ظناً منها ان لايل سيكذب قولها، لكنه مد يده مصافحاً نيلسن وهو يقول:

ـ لا بأس... لقد ارتكبنا خطأ اذ لم نخبرك بذلك نتيجة الظروف الراهنة، وفي كل حال (التقت نظراته بنظراتها وتابع) لقد قررنا ان نتزوج عند وصولك.

لكن نيلسن العملاق ابتسم في وجه لايل ابتسامة خبيثة هزت أعصاب سالي وقال:

ـ اذن لسنا بزوار مرغوب بهم هنا... (نظر برقة الى سالي ثم الى لايل) ألا تعتقدان اني اعترف بجميل صنيعكما تجاهي. لقد أزعجت كليكما منذ لحظات، لكنني لا أقصد ذلك. ان تحمّل فقدان زملائي، ليس بالأمر السهل.

ـ حسناً اننا نقدّر الموقف. احتس قليلا من القهوة، وسأحضر لك ملابسك بعد تناول فطورك.

وما ان خرج نيلسن من المطبخ يمسك قدحه بيد، وبالأخرى المقلاة التي غطته حتى تشجعت سالي ونظرت الى لايل متوقعة ان تقرأ ثورة غضب واتهام في عينيه، لكنها رفرفت عينيها غير مصدقة عندما أرسلت عيناه اشعاعات دافئة شعرت بارتخاء مفاصل ركبتيها

وهمست متلعثمة:
- اني آسفة يا لايل.
لكنها لم تستطع متابعة كلامها بانسجام، اذ اقترب منها، وتسللت ذراعاه حولها يجذبها الى جسمه النحيل، الذي قص لها آلاف القصص التي حال ارتباكها دون ترجمتها.
- لماذا تشعرين بالأسف؟ ألا تشعر المرأة بالنشوة عندما تعلن خطبتها لرجل اختارته بنفسها؟
فأجابت:
- لا تمزح يا لايل!
تحركت بقلق. لكن الحب ليس بعمليه حسابية، وليس من الضرورة اجتماع شخصين يجب أحدهما الآخر ليؤلفا وحدة من اثنين وقالت:
- لقد قلت له ذلك تحاشياً للقتال الذي قد ينشب هنا.
لكنه تابع مداعباً موقظاً أحاسيسها كما يفعل دائماً، وهمس في اذنها:
- هل ما أخبرتني به بالأمس صحيح؟
- نعم.
- وهل قلت انك ترغبين في الزواج مني حتى يفرقنا الموت؟
- أجل.
- اذن علينا ان نفكر بهذا...
تابع تدليله لها وازداد الغرام اشتعالا...
فسألته مبهورة:
- أترغب ان تتزوج وان تتزوجني أنا بالذات؟
- نعم. اذا كان الزواج هو الطريق الوحيد الذي احصل به عليك.
وابتسم مغتاظاً وأضاف:
- أليس الزواج هو الطريق الوحيد؟

هزت برأسها وقالت:
- لا يهم ذلك الآن. ان ما أريده هو أن أبقى معك يا لايل.
ابتسم، فلفت انتباهها جمال محياه بعد ان حلق ذقنه، وقال:
- لن أقول انني لا أريد تجاوز حقوقي الزوجية الآن. ولكن عندما تنتهي الأوراق الرسمية الخاصة بزواجنا، سيعني هذا انك وضعت طوقاً حول عنقي.
- أتعني انني سأقيدك بهذا الطوق؟ (فركت أنفها وتابعت) ألا ترى ان هذا القيد سيشملني انا ايضا؟
- يجب ان تؤمني بذلك يا سالي...
سرت سعادة في أعماقها وهو ما زال يعانقها. ان ما يهمها الآن انها تحبه، وانه قد طلب تزوجها هي سالي براون بدمها ولحمها، على الرغم من انه صادف نساء كثيرات في حياته. صدرت عنها آهة قصيرة تعبر عن استيائها عندما دفعها عنه برفق، وقال:
- سيأتي نيلسن مرة أخرى اذا لم تسارعي باعداد فطور للقبطان والقرصان.
فهقهت سالي اذ راقت لها تسمية نيلسن بالقرصان.
- حسناً، سأهيء الفطور لهما. ولكني آمل ألا يصفعني بالطعام ان لم يرق له.
- لا أعتقد انه سيفعل ذلك (غمزها متابعاً) لا انه الآن يقدر كفاءتك.
نظرت في وجهه ثم أزاحت ذراعيه المحيطتين بها، ومضت الى الموقد تنظر الى المقلاة المنتظرة وهمست:
- آمل ان أتمكن هذه المرة من طهي الطعام دون ان يشب الحريق في المنزل.
- لا لن يعيقك شيء هذه المرة. انني منهك ولن اعترض طريقك.
نظرت سالي اليه وقالت:
- لكنك لم تتناول فطورك حتى الآن؟

فأجابها مكشراً وهو يقف بالباب:

ـ يبدو انني فقدت شهيتي فجأة. ولكنني احذرك من انني سآكل كالدب بعد ان أنام عدة ساعات. أتستطيعين الاهتمام بالزوار وتسجيل أحوال الطقس معاً؟

ـ بالتأكيد (ابتسمت له) لا تقلق بشأن ذلك.

فكرت سالي بالقبطان الذي لم تره حتى الآن عندما بقيت وحيدة في المطبخ. ترى هل أصيب بكثير من الجراح؟ لم يشر اليه لايل كمريض بحاجة الى العناية بل كزائر.

تدفق في أعماقها شعور بالسعادة، وهي تحضر البيض واللحم والقهوة. وكأن ما حدث خلال الساعات الاثنتي عشرة الماضية، قصة خيالية لا يتوقع احد ان تغدو حقيقة. لكن الأمر الذي لا يصدق هو ان خيالها الجامح قد غدا حقيقة ثابتة. فلايل هيمينغ الرجل الأديب المثقف يحبها، ويريد ان يتزوجها. لن تصدق زميلاتها هذا وخاصة انها كانت تكيل لدون جوان كلية الآداب لايل هيمينغ نفسه نقداً لاذعاً، لأنه يلتقط السيدات ثم يرمي بهن بسرعة البرق. كما انها كلما تذكرت الشقراء الفاتنة ماجدة التي كانت برفقته في النادي، تنهشها الغيرة فتطبق قبضتها على أصابعها بعصبية. وضعت الخبز في الآلة الخاصة بتسخينه، ثم فتشت عن الصواني لنقل الفطور، وهي تفكر لماذا تشعر بالغيرة من ماجدة؟ ومن قال ان لايل الأعزب كان ناسكاً؟ ان النساء بالنسبة له كالنفس بالنسبة للجسم، لكنها ستصبح زوجة عما قريب...

قطع تأملاتها صوت اللحم والبيض الذي أصبح جاهزاً، بل كاد يلتصق بالمقلاة، فنقلته بسرعة الى الطبق، ووضعت الخبز المدهون بالزبدة في طبق آخر. ثم وضعت الأطباق فوق صينية. ووضعت أخيراً ابريق القهوة، وألقت نظرة شاملة فتذكرت ان بعض الورود سيضفي رونقاً على الصينية. وسرعان ما تراءت لها عينا نيلس الزرقاوان، فرأت ان لا حاجة لذلك التزيين الإضافي. الا ان نيلس لن يفهم مثل هذه اللفتات الصغيرة، انه رجل متميز عما صادفتهم من الرجال، يتحرق شوقاً في التمتع بجميع نواحي الحياة.

تملكها شعور يشبه شعور ستنزيلا بعد مضي الساعات السحرية التي عاشتها، فهرعت الى البرج كي تقوم بعملها الخاص في المنارة، بعد ان جهزت طعام الافطار للزائرين اللذين انقذا من الغرق، وقامت بتنظيف ما اتسخ من الأطباق. كما انها سرقت قليلاً من الوقت لتناول افطارها المكون من الخبز والقهوة.

نظرت عيناها بشكل آلي الى غرفة المساعد حيث أخذ دخان خفيف يتصاعد من المدخنة. فتذكرت ان لايل لم يذق طعاماً، بل كان جل همه ان يستمتع بقليل من النوم عندما غادر المنزل.

منحها الهدوء المهيمن على جو الجزيرة بثقة كبيرة في نفسها، وهي تمشي بتؤدة فوق الطحالب الخضراء متجهة الى البرج. انها المسؤولة الوحيدة الآن عن سير المنارة. ولكنها تذكرت، وهي تفتح باب غرفة البرج، انها ليست مؤهلة لتتخذ الاجراءات اللازمة فيما اذا اضطرتها حالة طارئة لذلك كما حدث بالأمس. تركز اهتمامها وتفكيرها على قبطان القارب، وتذكرت ما دار بينهما من أحاديث في غرفته قبل قليل، وهي تتابع صعود السلم اللولبي الى غرفة عمليات البرج. انه كبر مما توقعت وقد تناسق لون شعره الأبيض مع لون الوسادة الابيض حين كان مضطجعاً، عندما قدمت له الفطور. كما ذكرتها تجاعيد القبطان الضاحكة، الموجودة حول عينيه العسليتين، بوالدها، مع انه لم يكن مبتسماً عندما شاهدته. بل بدا شارد الذهن حينما دخلت الى غرفته.

قالت له وهي تقف بالباب:

ـ لقد أحضرت لك افطاراً مؤلفاً من البيض واللحم والخبز والقهوة آمل ان يروق لك.

هز يديه رافضاً وقال:

ـ لست جائعاً.

توقفت سالي بالقرب من السرير، وهي تعتقد انه فقد شهيته لفقدان رجاله. ولكن أيعيد الاضراب عن الطعام أفراد طاقمه؟

وضعت الصينية على المنضدة الصغيرة، ثم جلست على حافة السرير وهمست بهدوء واصرار، وهي تصب قليلاً من القهوة:

- اشرب هذا القدح. فقليل من القهوة لا يؤذي أحداً، وستشعر بعد قليل بالتحسن.

رفع يده محاولاً ان يبعد القدح بعنف، لكنها أبعدته هي بالوقت المناسب، وقال:

- لا أريد شيئاً. اذهبي واتركيني وحيداً.

لكنها لم تذهب بل قالت بهدوء وهي تتأمله بعينين مملوءتين عطفاً:

- لن يستطيع احد من رجالك المفقودين ان يتقبل قدحاً من القهوة الآن، ولن يستمتعوا باللحم والبيض لأنهم لا يحتاجون الى هذه الأغذية بعد اليوم. أما أولادهم وأزواجهم فهم يحتاجون الى الغذاء. انهم يحتاجون اليك أنت يا قبطان برادشو، لتتفقد أحوالهم، ولا تدعهم يفتقدون ضروريات الحياة. ألا يرغب أفراد طاقمك ان تهتم بعائلاتهم بعد رحيلهم؟

بدا كأنه يختنق، وقال:

- لكنني مهما فعلت فلن أعوض زوجة عن زوجها، ولا أولاداً عن أبيهم.

- لا . . . (أجابت سالي بهدوء) لن يستطيع احد ان يفعل ذلك. لكنك ستشعرهم ان احداً يهتم بهم، وانهم لن يبقوا بمفردهم لمواجهة الحياة، ولا أتكلم عن مساعدة مالية لهم، بل عن شخص مسؤول معنوياً عنهم، يتفقد أمورهم ويحيطهم بحنانه.

- يا الهي سأهتم بهم، لكنهم سيلومونني ويحملونني مسؤولية ما حدث.

- وكيف يلومونك من اجل ما حصل وهذا ما قدره الله لهم؟ هل طلبت انت الى الريح ان تعصف بهذه القوة؟ وهل حطمت القارب بنفسك فوق الصخور؟

أدار رأسه ونظر اليها، والدموع تفيض من مآقيه:

- ليتني لاقيت حتفي بدلا منهم فأنا وحيد في هذه الدنيا. توفيت زوجتي منذ عامين وحياتي وموتي سيان لدي، اما هم فانهم أرباب عائلات.

حاولت سالي ان تدور حول الموضوع فقالت:

- يجب اذن ان تشعر بالخجل، وأنت ترفض هذا الطعام. اذ ان لديك سبباً قوياً يدفعك الى ان تعيش، وتأكل هذا الفطور الذي حضرته بنفسي (دفعت الصينية أمامه) يجب ان تعيش لأنك ورثت أحفاداً عليك ألا تخذلهم.

شدها للواقع رؤية الآلات في غرفة البرج، ودموعها ما زالت تنهمر بغزارة لذكرى القبطان ومصابه. آه من العاصفة التي أحالت اولئك النسوة الى أرامل والأطفال الى يتامى. ولكن عليها ألا تعتبر حوادث الأمس خسارة مطلقة، كما سيثبت الواقع ذلك للقبطان برادشو.

تابعت تسجيل أحوال الطقس، ولما أنهت عملها في البرج عادت الى المطبخ حيث دست في الفرن لحماً أخرجته من الثلاجة. كان اللحم ينعم بدفء الفرن عندما عاد لايل ثانية الى المطبخ، بعينين منتفختين، بتأثير نوم عميق، استغرق معظم النهار. كانت سالي تستعد نفسياً للعودة الى البرج للتسجيل المسائي بدلا من لايل النائم. لكنها شعرت براحة كبيرة عندما رأته أمامها اذ انزاح العبء عن كاهلها.

أصر نيلسن ان يذهب مع لايل الى البرج، مما أشعرها بمزيد من الراحة. فقد أمضى الوقت متجولا في المنزل بعد ان أعطته سالي ملابسه التي جفت. وكالأسد السجين أخذ يذرع أرجاء المنزل الصغير جيئة وذهاباً قبل ان ينطلق فوق الجزيرة الصخرية، ينتقل من صخرة الى أخرى ومن جانب الى آخر. اما قبطان السفينة المنكوبة،

فقد أبى ان يغادر المنزل، واخذ يتمسك بوجود سالي أمامه كما تمسك بالأمس بالصخور خوفاً من الغرق.

كان مصابه العقلي والجسدي أفدح من مصاب نيلسن. وعندما شاهدته كان مثل نيلسن عاري الصدر، فرأت جروحه الحمراء التي سببتها الصخور الناتئة عندما تشبث بها ليلة الأمس. فكرت، بقلق، وهي تحضر الغداء في ان نيلسن. كلما نجا من مصيبة في حياته، يعتبر نفسه قد خلق من جديد.

قال نيلسن مشجعاً، وقد دخل المطبخ يتقدمه لايل:

- يا لرائحة هذا الطعام الزكية يبدو انك يا عزيزي قد التقطت درة مكنونة، تبدو، وهي تطبخ، كصورة في مجلة.

- حقاً انها جوهرة حقيقية.

نظرت سالي الى لايل بعد هذا الاقرار، لتتعلق بنظراته، لكنه لم ينظر اليها، بل مضى الى الثلاجة، وأخرج علبتين من الكوكاكولا وهو يسأل نيلسن:

- أترغب في قليل من الكولا؟

أجاب العملاق الاشقر- بالتأكيد- ثم رفع العلبة الى فمه دون ان يطلب كأساً، وبعد تردد بسيط، حذا لايل حذوه.

اقترحت سالي بنبرة لاذعة، كأنها تعترض على لايل لأنه يجالس رجلا يحول بينهما حاجز ثقافي متفاوت كتفاوت الليل والنهار.

- لم لا تشاركان القبطان برادشو في غرفة الجلوس؟

نظر اليها لايل بعينين مرتبكتين للحظة، وقال مخاطباً نيلسن:

- أما سمعت ما قالته الرئيسة... هلم نبتعد عن طريقها.

كشر الصياد الأشقر وجهه، وخرج من المطبخ. مضت سالي في عملها، وهي تفكر في ان نيلسن ليس من أذكى الخليقة على الأرض، كما يظن نفسه، وهذا ما جعل عدم اعتراف لايل بذكائه ذنباً يغتفر. كان فوها ما زال مطبقاً بصرامة عندما عاد لايل الى المطبخ.

خاطبها بصوت منخفض كيلا يسمعه الرجلان، وقد اختفت

نظرات الرقة من عينيه، وحل غضب ساطع مكانها:

- ماذا تريدين ان تفعلي، بحق السماء؟

أجابت بنزق:

- الأجدر بي ان أسألك. ماذا تحاول انت ان تفعل؟ شكلك لا يوحي أبداً بأنك سهل الانقياد. فلماذا تتصرف كذلك الآن؟ (وأشارت بيدها الى غرفة الجلوس).

فسألها بهدوء تام:

- وماذا تريدينني ان أفعل؟ هل ألقي عليهم محاضرة عن أدب شكسبير؟

- أجل انني أفضل ان تكلمهم عن شكسبير من ان تجتر معهم أحاديث سخيفة.

خيم الصمت عليهما دون ان ينبس أحدهما ببنت شفة، الى ان قال لايل بتوتر:

- أتعلمين شيئاً؟ انك ذات نفس متكبرة... والأكثر من ذلك انك تتمسكين بمنتهى درجات التكبر. انك مثقفة متكبرة، تحتقرين الأشخاص الذين هم دونك ثقافة. ان هذه الصفة موجودة لدى النقاد الصحفيين. انك تنظرين الى الأمور بسطحية دون ان تعلمي ما يخفي هذا السطح من أشياء حية تحته.

انفجرت .غاضبة، واستدارت لتوجه الكلام اليه، فنقطت الملعقة، التي أخذت تحرك بها اللحم، الزيت على الأرض.

- لا... انني لست كذلك. لكنني لا أحب ان يخفض رجل ذو مكانة فكرية مستواه من اجل ارضاء شخص كنيلسن.

اجابها بجفاء، وهو يتجه الى الثلاجة، ويخرج علبتين من الكوكاكولا...

- أشكرك... أعلمينا متى نضج الطعام.

ودون ان ينتظر جوابها غادر المطبخ. أغلقت الفرن من جديد، وهي تعض على شفتيها مبتعدة عنه. لماذا اعتراها هذا التكبر الذي

تكرهه من أعماقها؟ لكنها حتماً تصرفت بدافع طبيعي نبع من ذاتها.

اتسعت عيناها معترفة بما وصفها لايل به، وهي تستقر في كرسيها تحدق دون ان ترى شيئاً أمامها. وسحبها الخيال محلقاً بها.

لم تضطرب لتصرفات نيلسن غير اللائقة، ولم تحتقره لتصرفاته اللامصقولة، بل نبع اضطرابها من مصدر أعمق، وبالأصح من مؤلفات لايل التي لا تتمتع بقيمة أدبية. بل تسعى لارضاء ذوق الجماهير، والتي اعتبرها لايل وسيلة لكسب مادي متجاهلا في ذلك مركزه الأدبي. انها تود ان تفخر بمؤلفات لايل هيمينغ الذي سيغدو زوجها، وأن تتلقى التهنئات والتقدير من أصدقائها. اما الآن فان مؤلفاته تقف في حنجرتها كالشمرة الشائكة، وهذا ما يزيد من اضطرابها.

بدت لها جلسة العشاء مملة دون احاديث نيلسن المشوشة، فقد اكتشفت ان ارتباط نيلسن بالبحر، حال دون تمتعه بنشاطات اجتماعية اخرى، فعاش حياة ملؤها المغامرات. لكن نيلسن سرعان ما أدار دفة الحديث وقال:

ـ لقد أتينا بمعداتنا لبناء ملجأ جديد في مانزانيللو، ولكنت شعرت بالضيق لو لم يتيحوا لنا المجال لمغادرة الميناء، اسمع يا رجل (تابع مخاطباً لايل) لكن النساء هناك من نوعية مختلفة تماماً، ومستعدات ومتمكنات وراغبات، وبالطبع كان الشباب كذلك...

وقبل ان يتاح للايل مجال للتعليق، نهضت سالي ولما يزل لايل يضحك ضحكة خافتة، وهو يستمع الى أحاديث نيلسن، وقالت ببرودة:

ـ أيرغب احد في تناول الحلوى. لقد أعددت فطيرة من الفريز الذي كان محفوظاً في الثلاجة، بالكريما المجففة. ما رأيك يا قبطان برادشو؟ (وجهت الكلام للرجل ذي الشعر الرمادي الذي احتفظ بتعاليه، ولم يشترك في المحادثة).

ـ لا. أنا...

فحذرته سالي ملحة وقالت متسائلة:

ـ ماذا قلت يا قبطان؟

نظر اليها معترفاً بجميلها وهو يبتسم.

ـ اذن ضعي لي قطعة صغيرة.

قطعت سالي الفطيرة التي استغرق صنعها معظم بعض الظهر، ووزعتها في أطباق. انتابها الغضب والاستياء عندما أخذ نيلسن ولايل نصيبهما من الحلوى دون البوح بكلمة شكر، وانهالا يأكلانها بنهم، وقد أحنيا رأسيهما فوق الأطباق. اما القبطان برادشو فقد تمتم بكلمات الشكر التي لم تشف غليلها. وزاد اضطرابها شدة، عندما التهم الرجال الحلوى، ثم أخذوا يصبون القهوة التي أحضرتها الى الغرفة، لتساعد في هضم تلك الوجبة الثقيلة.

حملت الأطباق الفارغة، وغسلتها بالماء الساخن وهي تفكر مكشرة بأن التهام الرجال لقطع الحلوى، وترك الصحون نظيفة تماماً، يعتبر اطراء لها. لحق لايل بها الى المطبخ وقال، وهي تجفف آخر طبق:

ـ سأذهب الى البرج الآن. وعند عودتي سأتبارى مع نيلسن في رفع الأثقال. هل لك ان تلعبي النرد مع القبطان؟

ـ أويلعب القبطان النرد؟

سألته ببرودة وهي تجفف يديها بالقرب من المدفأة.

أجاب بأدب:

ـ أجل.

مضى لايل الى الباب ونظر اليها لدقائق وأردف:

ـ اسمعي يا سالي انني لست مسروراً لتحمل مسؤولية شخصين آخرين هنا على جزيرة روك. ولكن ليس باليد حيلة. علينا ان نحيطهما بقليل من العطف والرعاية كي يتجاوزا هذه المرحلة الحرجة. انها بحاجة الى ان تفهمها جيداً لا ان تتهمها بتلك الصفات التي أطلقتها!

فكرت سالي بالفراغ الذي خلفه بعدما غادر المطبخ، وشعرت ان الدموع تتزاحم في مقلتيها. اذ بذلت الكثير من الجهد وهي تواسي القبطان برادشو، حتى انتشلته من اليأس الذي أحاط به، كما شعرت بالنصر والزهو عندما وافق القبطان على ان يتناول العشاء معهم.

جلست وحيدة تشعر بالانهاك وهي تجلس الى منضدة المطبخ، تمسك أصابعها بابريق القهوة التي أعدته من جديد، اذ توالت الأحداث، وبسرعة أكبر من ان تستوعبها، وأعقب حادثة تحطم السفينة ذلك الزلزال الذي هزّها من الأعماق عندما اعترفت لنفسها انها تحب لايل هيمينغ، بل أحبته منذ زمن بعيد. ألهذا تتصرف بعصبية وحدّة؟ أم لأن كتاب لايل عاد يؤرقها؟ وبدأت تتساءل لماذا لا يستبدل لايل بكتابته الرخيصة الموجهة الى الجمهور العام، كتابة روايات بوليسية كجون ابنسلاي الذائع الصيت. ان الكتاب الذي أخذته من مكتبة لورنا، واستغرقت وقتاً في ايجاد عقدة القصة المتداخلة، ممتع وأدبي.

وازداد التصميم في داخلها لمعرفة موضوع قصة لايل، وان قررت ان تحتفظ بما تعرفه لنفسها.

٧- الخيط الحريري

لعبت سالي النرد مع القبطان الذي شعر من جديد بالزهو والسرور حيث أخذ يربح المباراة جولة بعد أخرى. مما أعاد ثقته بنفسه ولو على هذا الصعيد الضيق.

أثار التبدل المفاجىء في عدد أشخاص المنزل، ثلاثة رجال وامرأة، ذكريات الأمسيات التي قضتها سالي مع لايل وحدهما. حتى كادت لا تصدق أن ما حدث بينهما كان حقيقة لا خيالاً. ومع أنهما ما زالا يتبادلان النظرات عبر المائدة وهما يجلسان مساء، لكن لم يعد للغرام مجال بينهما. والأمرّ من ذلك أن لايل ما زال يتهمها بالتكبر الذي لم تنطو نفسها عليه. ويبدو ان لايل على حق فمع أنها اكتشفت ان نيلسن، على الرغم من أخطائه، يتمتع بقدر من السحر الحيوي لم

تنقصه حادثة غرق السفينة، الا انها تشعر بالملل من حديثه، كلّما تكلم اليها. انها تهتم كثيراً بآراء لايل فيها، وتخترق كل كلمة من كلماته أعماقها، وما زال يشغل تفكيرها وهي تلعب النرد مع القبطان.

تركت سالي المباراة قليلا وقدّمت للرجال القهوة. نهض لايل ومدد قدميه بالقرب من المدفأة وقال:

ـ علي ان أقوم بالتسجيل فالساعة تشير الى الحادية عشرة مساء (تابع دون ان ينظر الى سالي) وعندما أنتهي سأعود الى هنا.

أجابه نيلسن معترضاً:

ـ لكنك لم تجد فرصة طوال النهار لتبقى مع خطيبتك؟

وفي الحال شعرت سالي بعيني القبطان تتركزان عليها، وسألها بارتباك واضح:

ـ وهل اتفقتما على الخطوبة؟

فردّ نيلسن بود، وقد نهض مخاطباً القبطان:

ـ بالتأكيد انهما متفقان على الزواج، واننا نعوق الطريق أمام تحيتهما المسائية كعادتهما، ما رأيك في ان نغادر المكان يا قبطان؟

ـ لا داعي لذلك (أجاب لايل) انني منهك جداً حتى انني لا أستطيع السهر اكثر هذا المساء.

ساد الجو هدوء، وهم يسمعون تحركات لايل لدى ارتدائه الملابس المخصصة للذهاب الى البرج، وما ان أغلق الباب الخارجي بقوة خلفه، حتى قال برادشو معتذراً:

ـ انني آسف جداً. لم أكن أعلم عن خطبتكما. كما اننا سببنا مشاحنة لا ضرورة لها.

ـ لا. . . لا يهم ذلك (نهضت سالي وهي تشعر بحزن في أعماقها من تصرف لايل وأردفت) انه حارس مؤقت هنا، بديل من أخيه، ويقوم بتأليف كتابه هنا أيضاً، وأظن انه سيتابع التأليف ليلا عندما ينتهي من تسجيلات الط‍ ‍س.

صفر نيلسن برقة وقال:

ـ مؤلف؟ هذا مدهش. اعتقد ان للتأليف علاقة بعمله كمدرس أليس كذلك؟ يا له من شاب نشيط (وجه حديثه للقبطان)، انك لا تعلم انه دقيق في انجاز عمله. . . من يصدق هذا؟

ثم هزّ برأسه والتزم الصمت.

أطبقت سالي شفتيها باصرار، ونظرت الى القبطان الذي سألها:

ـ كأنك لا تقرين عمله، أيتعلق موضوع كتابه بعمله في الجامعة؟

أيقظ سؤال القبطان سؤالاً آخر في ذهن سالي، فاذا اعترفت أنها لا تعلم الموضوع الذي يدور حوله كتاب لايل، فكأنها تعلن انها ترغب في الاقتران برجل لا تهتم بهذا المجال الحيوي من حياته. اذن من الأفضل أن تقول انها لا تعلم نوع كتابته مع انها متأكدة في أعماقها منه. ولنفرض انها اعطت معلومات مغالطة، فلن يغيرها الأمر.

وسرعان ما استدركت الأمر وردت على القبطان:

ـ لا انه لا يمت لعمله الجامعي بأية صلة.

مرّرت أصابعها على مؤلفات اينسلاي وقالت:

ـ بالطبع انه لا يستطيع ان يدرج هذه العناوين تحت اسمه الحقيقي لأن الجامعة لا تقر ذلك.

وقف نيلسن خلفها، ثم انحنى بجسمه الضخم، وحلق في الكتب التي أشارت اليها سالي، واستقام جالساً، ونظر بدهشة اليها:

ـ أتعنين انه جون اينسلاي بلحمه ودمه؟ يا للسماء لقد قرأت جميع كتبه دون استثناء. . . انها لكتب عظيمة.

هزّ برأسه، كأنه لا يصدق.

فشعرت سالي بالخطر يحيط بها، فقالت بعصبية كادت تسحقها:

ـ رجاء إياك ان تذكر أسماء الكتب أمامه، لأنه يخشى ان يفقد مكانته في الجامعة اذا كشف عن شخصيته الأدبية.

قاطعها نيلسن:

- أتعتقدين انهم سيفصلونه من الجامعة لأنه يؤلف كتباً يفهمها عامة الناس، وتستمتع بها الجماهير؟

قرعت أجراس التحذير ذهن سالي، فشعرت أنها تقوم بتشويه سمعة هيئة الجامعة، أمام هذا الرجل المحارب. فقالت:

- لا بالطبع لا. . . لكنك لاحظت انه رجل يحب الاحتفاظ بما يخصه وحده. انه لا يريد ان يعرف أحد انه المؤلف اينسلاي، لأنه يرى ان عمله في الجامعة، يفوق عمله في التأليف أهمية. رجاء لا تخبره انك عرفت شخصيته الحقيقية لأنه سيلومني ان فعلت.

ترى هل سيلومها لايل فقط فيما لو علم أنها أفشت سره؟ لا انه سيتهمها انها اساءت اليه، وتخطت الثقة التي بينهما لا كصحفية فقط بل كشخص قريب منه. فقد طلب اليها الزواج مؤكداً بذلك الثقة الكبيرة التي يمنحها رجل لامرأة.

تقلبت كثيراً في فراشها متسائلة ما الذي دفعها ان تصدّق وهماً نسجته في خيالها، لتبوح به لهذين الرجلين المتكويين على انه حقيقة واقعة. لكن الجواب لمع في مخيلتها، لقد فعلت ذلك لأنها ليست متأكدة من حب لايل لتثق به بهذه السهولة، وهل يجد رجل مثل لايل مكاناً للسهولة في حياته؟ ولو كان كذلك لاختار بسهولة امرأة من بين النسوة اللواتي ارتمين في احضانه.

حملقت في السقف المظلم بعينين واسعتين، وهي تتمسك بالنقطة الحاسمة لمشكلتها. بماذا تمتاز هي عن باقي النساء اللواتي عرفن لايل؟ وفي هدأة الظلام أخذت تواجه الحقيقة المرة وتقوم ذاتها: انها متوسطة الجمال والذكاء، لكنها تقدر ظروف لايل المعيشية، وتؤمن ان لايل محط أحلام كل امرأة. فكم تمنت نساء لا تستطيع احصاء عددهن أن يبقين بقربه كما تفعل هي الآن.

سمعت تنفس نيلسن الأجش الآتي من الغرفة القريبة، فغطت رأسها بالغطاء وما زال الم عميق يحز في نفسها محاولة ان تنسى ما

حدث. ان تقويمها لذاتها لن يسوّغ ما قالته ضد لايل. انها تحب لايل هيمنغ، ولن يغير ذلك أي شيء في هذه الحياة.

أعرب الزائران عن امتعاضهما غير مرة لاحتجازهما فوق جزيرة روك، وهذا ما بدأت تشعر به سالي أيضاً. وكم من مرة لاح بريق الأمل مع إشراقة الفجر واعداً بالفرج، ولكن ما ان يبدأ الصباح حتى تتوسط الغيوم كبد السماء، وتتلاطم امواج المحيط قبل ان تشرق الشمس.

ضاق نيلسن ذرعاً بالبقاء، فسأل لايل بلهجة يشوبها الاضطراب، وأشعة الشمس تسطع للمرة الثالثة على الجزيرة الصخرية:

- متى سيفك أسرنا؟

أجاب لايل بهدوء وثبات نمّ عن اعتياده منذ الطفولة على تقلبات الطقس:

- لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. ستأتي القوارب حالما تستطيع ان ترسو هنا.

بدت عيناه وكأنهما تخاطبان سالي لا نيلسن، فشعرت بارتياحه للتخلص من الغريبين ومنها أيضاً. ليتها تستطيع التخلّص من تأثيره في حياتها بسهولة، كما سيتخلص هو منها بتلك السهولة عندما تغادر الجزيرة. لقد ظنت ان قدوم نيلسن وبرادشو قد صرف عن ذهنه جميع الاعتبارات الخاصة بينهما، على الرغم من انه ما زال لطيفاً معها بشكل يفوق الوصف، وان لم تتكرر لقاءاتهما العاطفية التي ربطت بينهما في الأيام الاولى لقدومها. وكثيراً ما فكرت، وهي تقطع الطريق الذي غدا مألوفاً لديها بين المنزل والبرج، فيما اذا صحت خطوبتهما وفيما اذا ستنتهي بهما الى الزواج؟ فلايل لم يتكلم عن خطبتهما منذ قدوم الرجلين، كما انهما لم ينفردا معاً طوال هذه المدة.

سيطرت عليها فلسفة معينة وهي تؤدي واجباتها اليومية، من تسجيل في البرج، الى اعداد الطعام للرجال الثلاثة في جزيرة روك،

وشعرت انها تدور في حلقة مفرغة، فيا تكاد تنهي أعمالها في البرج، حتى تعود الى المنزل، تهيم على وجهها، وتتلاطم أفكارها المنصبة على اكتشاف فحوى كتاب لايل الذي ينال معظم وقته ويحتجزه في بيت المساعد. غدا هذا الأمل هوساً شغل جميع تلافيف دماغها، واخذت تعدّ خطة لتتحرّى ما انجزه لايل من عمل مبدع في كل لحظة.

وفي أحد الأيام، وبينما كانت تقشر البطاطا لتحضر طعام العشاء، واذ بلايل يدخل المطبخ، ويعلن انه انهى كتابه، فسرى هذا الخبر كالصاعقة الكهربائية في أوصالها.

استدارت ونظرت اليه وما زالت يداها تمسكان بآلة البطاطا، فاستجابت نظراتها للعاطفة التي حملتها نظراته، واعتراها خوف لم تستطع التغلب عليه. وقالت بلهجة لا يشوبها الحماس:

ـ عظيم.

يا الهي!

لم تبد له فرحها بنصره الذي حققه في انجاز الكتاب، لأنها كانت أسيرة الافكار التي سيطرت عليها، والتي حالت دون انعكاس الفرح في عينيها. وبدا الارتباك واضحاً عليها، واخلدت تركز انتباهها على البطاطا.

قال لايل بهدوء، وهو يقف الى جانبها:

ـ أتدركين صدى انجاز الكتاب في أعماق كاتب؟

ولكي تطرد تساؤله وشكه أجابت:

ـ لا...

ـ اني ادرك انك لا تعلمين. فأثر الدكتور جيفري واضح تماماً عليك.

وقعت آلة البطاطا من يدها على الحوض محدثة صوتاً عنيفاً، فاستدارت اليه ونظرت بعنف، وقالت:

ـ اذا كنت تعني ان الدكتور جيفري قد أيقظ تذوقاً في طلابه للأدب الرفيع فانك محق في ذلك، وليس في هذا ما يعيب الدكتور

جيفري كرجل يحب الادب ويكرس حياته للفن؟

فأجابها موبخاً وقد تقلص فمه وحلق بها طويلاً.

ـ وما الذي جعلك تظنين اني لا أكتب أدباً رفيعاً، واضحي بنوعية ادبي من أجل الكسب المادي؟

ـ ألم تفعل ذلك؟ (اعترفت عفوياً بما يدور في أعماقها وتابعت) ان تأليف كتاب من أجل ارضاء الجماهير العامة شيء يختلف تماماً عن كتابة كلمات تبقى خالدة على مرّ الأجيال.

شدت قبضتها على البطاطا وكأنها تستمد وحياً من قشرتها البنية، وحلق لايل بها باحتقار حقيقي تجاوز الهدوء الذي ساد جو المطبخ، وتابع كلامه موبخاً ببرودة:

ـ انك كباقي بنات جنسك على ما أعتقد؟

تساءلت في سرها عن معنى هذا البريق الذي يطل من عينيه، واذا بصوته يشدها اليه ثانية عندما تابع قائلاً:

ـ انك تنصبين من نفسك حاكماً، وتناقشين الأمور بما يلائم البشر عامة دون ان تفسحي مجالاً للرأي الشخصي.

فانفجرت غاضبة:

ـ انني لست ناقدة أدبية.

التقت نظراتها القاسية بنظراته التي فاقتها قسوة:

ـ لا... وهل تعتقدين انني غبي؟

خرج من المطبخ بعد ان قال تلك الجملة الخفية المعنى، فشعرت سالي انه يحتقرها.

استعر الغضب في داخلها، وهي تجزم في أعماقها ان لايل ذا المكانة المرموقة في قسم اللغة الانكليزية لا يخلص للأدب الرفيع.

تابعت تحضير العشاء وهي تكاد لا تسمع المحادثة التي أدار نيلسن دفتها، اذ تبلورت في ذهنها الخطة المحكمة لاكتشاف موضوع كتاب لايل مهما يكلفها الأمر. وقررت ان تنقل بعض الجمل الرخيصة لتشير اليها في مقال ما زالت تؤلفه في ذهنها.

تابعت احكام الخطة وهي تلعب الورق مع القبطان ونيلسن ولايل، بعد ان نظفت المائدة من آثار الطعام. لاحظت على الرغم من شرودها، ان نظرة لايل تركزت عليها من فترة لأخرى وقرأت على شفتيه عدم رضاه، ولمحت في عينيه قسوة. فهمت من ملامحه هذه، ودون افصاح اكثر، ان الزواج لن يتم. وتساءلت عما اذا كان قد خطط لمشروع زواجهما في البداية؟ لقد تذرعا بهذه الفكرة كي يمنعا تطاول نيلسن عندما ضبطها في المطبخ صباح العاصفة. وعلى الرغم منها شعرت بالشوق اليه يشتعل في أعماقها، لكن نظراته التي فسرتها في سرها على انها محملة بالكراهية، جعلت هذا الشوق ينطفىء في مهده. تابعت اللعب بذهن شارد فيما ان ألقت الورقة من يدها، حتى نظر اليها نيلسن شريكها في اللعب نظرة موبخة. فقد تركزت أفكارها حول ايجاد عذر لدخول غرفة المساعد فيما اذا شعر احدهم بذلك، وهل بالامكان ان تدخلها اثناء غياب لايل عنها؟ ان التجسس في هذه الجزيرة المحصورة متعذر جداً. اذ ما ان يتغيب شخص عن مكانه الطبيعي، حتى تثار الشكوك حوله.

ذكرتها كلمة مكانه الطبيعي بمكان اقامتها المعتاد في سياتل، فغدا منزلها ومكتبها كأنما أصبحا في عداد الاحلام. اما مكوثها فوق هذه الجزيرة، فقد أصبح مألوفاً لديها بل كادت تشعر انه مكانها الطبيعي.

حاولت ان تتذكر وجه جيري بشكل عام. آه ترى بماذا سيعلق حول احتجازها فوق الجزيرة؟ ان حياتها هنا منفصلة تماماً عن حياتها السابقة، وفي كل يوم، تشعر بالبعد عن حياتها في سياتل، والانجذاب للحياة التي اخذت جزيرة روك تطبعها بطابع معين، والتي اتخذ لايل يسيطر عليها، وأحاسيسها تزداد اضطراباً.

استسلمت برهة لأحلامها الوردية مقتنعة بحبهما المتبادل. لكن الواقع جذبها فنظرت اليه من مقعدها السابق، فشعرت بالغضب والكراهية يتأججان في أعماقها، انها تنظر اليه الآن، كما كانت تفعل في الماضي.

قذفها من أحلامها الى ساحة اللعب صوت نيلسن يناديها من جديد:

ـ أنت يا خضراء العينين.

نظرت اليه وعلى وجهها ابتسامة سطحية... بادلها نيلسن الابتسامة ذاتها فسألته:

ـ ماذا فعلت؟

ـ ليتك لم تفعلي. لن أربح المباراة بينما تستغرق شريكتي في عالم آخر. هل تعلمين ماذا فعلت؟ انظري...

نظرت سالي الى الورقة التي غطت جميع الأوراق في وسط المنضدة، فوجدت ان تلك الورقة تحمل رقم اثنين من فصيلة بستوني، تتماشى مع ورقة الملك التي تحمله في يدها.

ـ آه اني آسفة يا نيلسن.

ـ لا بأس. ولكن حاولي ان تضعي حداً لاحلامك بثوب عرسك الأبيض والأزهار البرتقالية، أتفعلين؟

واستمرت اللعبة، وحاولت سالي جاهدة ان تركز اهتمامها على الورق. لكن رؤيا شبيهة بأفلام الأربعينيات العاطفية لاحت أمامها. فرأت ما يشبه صالة فخمة، وهي تمسك بذراع والدها الفخور بها، مرتدية ثوباً من قماش الساتان الأبيض ينم عن تقاطيع جسمها الجميل، وقد أسدل قناع من التول على وجهها مظهراً عينيها وجمال شعرها. وفي آخر الممشى وقف رجل ينتظرها على الطريقة التقليدية، انه لايل بلا شك.

جذبها ثانية تنفس نيلسن الذي ينم عن الملل، فقررت هذه المرة ان تصرف اهتمامها للورق، وبذلك غدت شريكة ممتازة تلعب الورقة المناسبة في الوقت المناسب. لم تؤثر في تركيزها بعض شطحات الخيال التي داعبت ذاكرتها، وضحكت في سرها اذ تخيلت لايل يوافق على الزواج وفق الطريقة التقليدية. قد يفضل أديب ذو كتب شائعة ان يعقد زواجاً مدنياً سريعاً مستغنياً عن التهنئات التقليدية

والأزهار. ولكن هذه النقطة بالذات ليست ذات أهمية بالنسبة للتساؤل الذي راودها من جديد: أيتم زواج سالي براون من لايل هيمينغ؟ لا لن يتم هذا ولو عن طريق التنجيم في ورق اللعب.

وفي مساء اليوم التالي يسّر الله لها تنفيذ خطتها لزيارة غرفة لايل، للاطلاع على مخطوطه. اذ دخل برادشو المطبخ وقال لها:

ـ يا عزيزتي ما رأيك في ان انتبه الى هذا الطعام الذي وضعته في الفرن ريثما تعودين من غرفة لايل. اذ يجب ان تهتمي بتغيير ملاءاته، وتنظيف غرفته. فان الرجل الأعزب فوضوي، وبحاجة للعناية دوماً. فما رأيك؟

قدرت طلب برادشو وتقبلته بروح معنوية، فشع بريق من عينيها. ان برادشو عزيز عليها اذ يتمسك بمثاليات تفهمها وتقدرها. فهو يؤمن أن الرجل يؤمّن مصاريف الحياة، وعلى المرأة تأمين رفاهية العيش. كما انه بطلبه هذا، أمن لها الزيارة التي تحلم بها في غياب لايل دون خلق الأعذار اللازمة لذلك.

مضت الى غرفة لايل تحمل ملاءات نظيفة جلبتها من الطابق العلوي، متجاهلة ذاك الشعور الذي أخذ ينمو في أعماقها، يحذرها بأن ما ستقوم به بسرية تامة، هو عمل مناف للأخلاق الفاضلة. لكنها باكتشافها حقيقة الكتاب ستسر الجماهير الذين يتمتعون بحق التعرف على انتاج أحد الأساتذة في جامعة واشنطن، طالما انهم يقومون بدفع الضرائب التعليمية المفروضة عليهم.

داعبها دفء الغرفة ما ان فتحت الباب وأغلقته بهدوء من الداخل. كانت الغرفة غاية في النظام والترتيب، وأضفى السرير المرتب بقماشه المطبع اشراقاً على الغرفة. مشت الى السرير ووضعت الملاءات النظيفة على أسفله قبل ان يداهم الفضول عينيها، ويجذبها كالمغناطيس الى المنضدة الموضوعة تحت النافذة.

لم تر أية ورقة على الآلة الطابعة عندما خطت الى المنضدة باندفاع. أعاد لايل ترتيب المنضدة ولم تجد عليها سوى ملف بني اللون يحتوي

على مخطوط كبير. لمست يداها اولا شريط الآلة الطابعة، ثم تحركت أصابعها لتلامس غلاف الملف البارد. ترى هل استحقت هذه الرواية البوليسية ذاك الجهد؟ تساءلت قبل ان تمسك الأوراق لتقدر حجمها. صحا ضميرها من غفوته عندما لمست الطرف الأول من الغلاف المطبوع. ان مؤلفات الكاتب تبقى مقدسة الى ان تعلنها احدى دور النشر بموافقة الكاتب. ولكن أيستحق لايل هيمينغ ان يتمتع بذاك الاعتبار، وهو يؤلف أدباً وضيعاً؟ أويستحق الأجر الكبير الذي يتقاضاه من الجامعة مستغلاً أوقات فراغه ليؤلف، سراً، كتباً يخجل ان يعلنها للملأ تحت أسمه الأصيل؟

ضغطت على الملف بأصابعها، ثم فتحته ببطء. . . ان عملها كصحفية يدفعها الى ان تكشف الحقائق للناس ولا تتركهم يفتنون بمظاهر الآخرين. وتطبيقاً لهذه الفلسفة، فان كتاب لايل مثل مناسب لتقوم بكشف حقيقة لايل للجماهير.

وما ان فتحت الغلاف حتى طالعها عنوان الكتاب ـ الخيط الحريري ـ وقد كتب تحته اسم المؤلف: لايل هيمينغ. علا الاضطراب في أعماقها. اذن فلايل لا يكتب تحت اسم مستعار. أمن الممكن ان تكذب حدسها؟ أيعتبر لايل هيمينغ في عداد الكتاب القديرين؟ شعرت بتجمد في أصابعها عندما لمست طرف الغلاف وقرأت للمرة الثانية ـ الخيط الحريري ـ انه عنوان مطلق وقد يكون رمزاً لرواية بوليسية، أو قصة عاطفية. . .

ارتجفت اصابعها وهي تقلب الصفحة الاولى لتقرأ الثانية. طالعتها صفحة الاهداء وقد كتب كلمات في منتصفها، قليلة في عددها، كبيرة في تأثيرها على سالي، التي بدأ الألم يمزقها من الأعماق وبشتت افكارها.

الى زوجتي روزالي

زوجته روزالي! روزالي زوجته؟

بدّدها اليأس وبدأ معنى الكلمات يتوضح في ذهنها رويداً رويداً.

ملأ الجنون في رأسها، وصدرت عنها صرخة محمومة تجسد المها. انه لن ترتدي ثوب عرس أبيض، ولن تحمل أزهاراً برتقالية. فلايل متزوج من امرأة تدعى روزالي. امرأة يحبها ويهديها كتابه. صرخ الألم المدمر في أعماقها، حتى شعرت ان دماءها فقدت لونها وشحبت ملامحها.

اذن، انه لا يحبها، هي سالي براون، كما تخيلت، وانها مرحلة مؤقتة في حياته كباقي فتيات الكلية اللواتي ارتمين في احضانه.

شعرت ان عمودها الفقري تقوس تحت وطأة هذا النبأ، فركضت الى الباب وتركته مفتوحاً، وعيناها تحاولان التعلق بأنوار البرج، كأن الأنوار رمز لطيف للرجل الذي يقيم في البرج، تسطع أنوار البرج ليستضيء بها من يحتاج اليها! عادت الى المنزل يلفها ضوء خافت وهي تشهق باكية.

انها كاحدى أولئك المخلوقات اللواتي يقدمن قلوبهن، دون قيد أو شرط، هدية لرجل له زوج يحبها؟ ترى كم سخر منها لايل، وشعر بالزهو لانتصاره على سالي براون الفتاة المحنكة. لا بد من انه ضحك كالمهووسين من خبرتها الضئيلة في معاشرة الرجال. ترى هل صدقها انه اول رجل في حياتها؟ ربما لا. ولكن لا يهم ذلك الآن! يهمها الآن فقط ان تترك الجزيرة التي نسيها القدر، وان تعود الى الحياة التي اعتادتها.

توقفت في القاعة الصغيرة كي تخلع حذاءها، ثم صعدت السلم مسرعة دون ان توجه نظرها الى غرفة الجلوس، وأغلقت باب غرفتها من الداخل. جلست فوق السرير قرب النافذة وما زالت ترتدي سترتها. اخذ اطار النافذة المربع يهتز، بينما راحت سالي تنظر، دون ان ترى شيئاً، الى السماء، شاردة الذهن، سارحة الخاطر. لكنها أدارت رأسها بحدة نحو الباب عندما سمعت طرقاً خفيفاً عليه. ثم ما لبثت ان سمعت القبطان برادشو، وحمدت الله انه لم يكن لايل، لأنها لا تستطيع رؤيته في هذه اللحظة بالذات. اذ شعرت بحاجة الى

ان تقفا عينيه، وان تنتزع تلك النظرة الساخرة منها.

سألها القبطان:

- هل أنت بخير يا سالي؟

لكن كلمة نعم المترددة لم ترق له فما لبث ان أدار اكرة الباب، ونظر الى داخل الحجرة. شعرت وكأن والدها يأتي الى غرفتها ليزيل أحزانها، كما كان يفعل في فترة مراهقتها. فاضطرت الى ان تبتسم له فقال:

- أرى انك لم تمض وقتاً كافياً للقيام بالأعمال التي ذهبت لأدائها في غرفة لايل؟

رتبت سالي شعرها بيديها، ثم مسحت الدموع من تحت عينيها وقالت:

- ان لايل رجل يعتمد على نفسه كثيراً.

ضحكت بقلق... بدت عيناها واسعتين كالمخضم. وتابعت:

- انه رجل ذو مواهب كبيرة فهو يتقن الأعمال المنزلية.

- أعتقد أنك تتوقعين ذلك بسبب نشأته هنا في الجزيرة (توقف متردداً وكأنه يود ان يقول شيئاً آخر ثم أردف) ان كان لديك ما يزعجك فبامكانك ان تخبريني! ربما لا أستطيع مساعدتك، لكن المرء يشعر انه بحاجة احياناً الى شخص يتكلم معه.

خفضت رأسها، وهي تنظر الى جوربها الأبيض، وقد انسدل شعرها مغطياً وجهها كالستار، وأجابت:

- لا، اشكرك. لكنني اعتقد انني شعرت فجأة بالحنين الى الوطن.

- يجب الا تتصرفي هكذا عندما تكونين مع خطيبك، ولو تطلّب الأمر ان تبقي في وطنه حتى نهاية حياتك.

انفجرت، دون ان تستطيع كبح جماح نفسها، واعترفت، بما يعتريها، لهذا الرجل، الذي أحاطها بعنايته كوالدها وقالت:

- لا اعتقد انني سأمضي بقية حياتي مع لايل هيمينغ.

صدرت عن القبطان اهة قصيرة:
ـ وهل كان وجودنا سبباً لتغيير رأيك؟
ـ أنت ونيلسن، لا . . . (هزت برأسها بالنفي وتابعت) لا على العكس تماماً كنت مسرورة لقدومكما في الوقت المناسب.
ـ وهل أنت مخطوبة له بالفعل؟
اقترب من السرير، وفي عينيه بريق من الحنان فردت بتنهد:
ـ لا . . . ظننت ذلك، ولكني هذا لم يحصل ولن يحصل أبداً. اذ لن أخوض غمار الموضوع ثانية.
انهت حديثها بلهجة رجاء، كأن صوتها قد تلاشى.
ـ كما تشائين (قال بتثاقل ونهض، وهو ينظر الى رأسها المحني) لكنني أرى ان تعيدي دراسة الأمور، لأنكما طيبان، ومتفاهمان في ادارة عمل المنارة.
فنظرت اليه وعلامات القسوة في عينيها:
ـ لا . . . لا . . . أبداً. . . انا يا قبطان لا نتلاءم معاً بشكل من الأشكال. وعلى كل حال فأنا أشكرك.
ربت على كتفها وهَمَّ بالخروج من الغرفة، عندما انتصبت أمامه قائلة:
ـ رجاء اياك ان تذكر شيئاً أمام لايل.
قال مؤكداً:
ـ طبعاً لن أفعل. حتى ولو أردت ذلك، فانه لن يدعني أتناول بالبحث أموره الخاصة. انه رجل طيب، ولكنه يحب كتمان حياته الشخصية، ومن حقه ان يتصرف كما يشاء.
حياها، وخرج.
أجل انه متحفظ وهذه الصفة مؤشر صحيح لتجاهله ذكر زوجه عندما طلب اليها الزواج. ترى أيتبع هذه الخطة مع كل فتاة حمقاء تقع في حبه؟
مشت الى النافذة وخلعت سترتها، وألقت بها فوق السرير.

بدأ الليل يرخي سدوله، وقد امتزجت صفحة الليل ببعض الغيوم الرمادية التي عكست ظلالها على الصخور الخضراء المغطاة بالطحالب. كاد التساؤل ينهش تفكيرها، كيف استطاع لايل ان يخفي أمر زوجه هذه السنوات الطويلة؟ ولم تسمع أية همسة في الحرم الجامعي حول هذا الموضوع قبل الآن؟ لا بد من أنه ماهر، وقد اعتاد ان ينال كل ما يريد في هذه الحياة. ترى اين تمكث زوجه هذه الأيام؟ واذا كان يحبها كما هو واضح من اهداء الكتاب، فلماذا لم تأت معه تشاركه حياته في المنفى في تلك الجزيرة؟ ربما انها لا تحبه بتلك القوة التي تقنعها ان تبقى سجينة معه . . . ربما . . . ربما . . .
حاولت سالي ان تبعد هذه التساؤلات عن ذهنها، وغضبها من نفسها يسحقها في الأعماق، لأنها تفكر كثيراً بهذا الموضوع. لن يتغير شيء بعد الآن، سواء أكانت روزالي زوج لايل شقراء أم سمراء، خجولة ام فات حنكة، فشبح وجودها يكفيها تماماً.
حاولت سالي الادعاء بأنها مريضة لتبقى في غرفتها. لكن كبرياءها أبى عليها ذلك، وتغلب على تلك الحيلة. فنهضت وغسلت وجهها، وصففت شعرها قبل ان تهبط الى المطبخ لتحضر العشاء.
شعرت بالامتنان لأن القبطان حضر الوجبة بأكملها، ولم يبق لسالي الا ان تصب الطعام في الأطباق، وتدعو الرجال الى المائدة. حاولت الا تلتقي عيناها بعيني لايل، وعلى الرغم من جهدها فقد شعرت بعينيه المحتارتين تتأملان ظهرها، وهو يتبعها مع الرجلين الى المطبخ، ليجلس في كرسيه المعتاد.
نظرت الى طبقها وهي تحمد الله لزوال تلك العلاقة الودية بينها وبين لايل منذ يومين او اكثر، وبذلك لن يشعر بالفتور الذي أصابها، ولعل ذلك هو أفضل من المجابهة وجهاً لوجه. ان جل ما تتمناه هو ان تغادر الجزيرة، وتعود الى حياتها العادية.
نظرت اليه مندهشة عندما سمعت صوته يخاطب الجميع وعيناه تتأملانها:

ـ عندي اخبار سارة. بدأ الطقس بالتحسن، ولن تستغرق عودتكم الى حياتكم الطبيعية سوى وقت قصير.

شعرت سالي وكأن كتلة وضعت في حنجرتها وسألته باضطراب:

ـ ومتى؟

صكّ فكيه عندما سمع تلك الكلمة الوحيدة التي تنم عن ضيقها، ونظر الى طبقه بهدوء وقال:

ـ سيكون ذلك بعد ظهر الغد على ما أعتقد.

نظر اليها ثانية بنظرات لم تستطع معها تفسير العمق الذي لاح منها، وتابع بسخرية:

ـ تبدين مسرورة جداً لتخلّصك من هذه الصخور.

أوحت لها نظراته أنه يقول: ومني أيضاً...

دمدمت سالي:

ـ لا تنس انني أود الالتحاق بعملي. أوه، يا للسماء لقد قضيت عدة أيام هنا على الجزيرة، ولم التقط لها صورة واحدة. ربما استطعت ان اصور جزءاً منها في الغد قبل ان يأتي القارب. أيأتي جون وزوجه على القارب ذاته؟

ـ أجل.

ـ حسناً. اذن، استطيع مقابلتها، أليس كذلك؟

ـ ستقابلينها فور نزولها من القارب، لأنك ستغادرين على القارب الذي سيأتي بها.

قال نيلس بحماس، وعيناه الزرقاوان تعكسان اعتذاراً لسالي ولايل:

ـ انني أتوق شوقاً لمغادرة هذه الصخور، وانا شاكر لكما ما فعلتماه من أجلي. ولكنني أكاد لا اصدق انني سأغادر هذا المكان الذي قد يكون سبب جنوني.

لم يذكره أي منهما بأن أصحابه المفقودين قد لاقوا حظاً أسوأ منه، وانهم لن يستطيعوا مغادرة مكانهم مرة أخرى.

قطعت سالي الصمت الذي خيم عليهم وسألت القبطان:

ـ ماذا ستفعل يا قبطان؟

أجابها بهدوء:

ـ سأذهب الى منزلي ثم أقوم ببعض الاتصالات.

وضعت سالي يدها اليسرى المضمدة فوق يد القبطان، وضغطت عليها مؤكدة انها فهمت ما يدور بذهنه.

وسرعان ما سألها لايل، وكأنها ذكرته بيدها عندما حركتها بشكل آلي:

ـ كيف حال يدك؟

ـ يدي! آه... حسنة... لقد نسيت جرحي تماماً.

أخبرته الحقيقة لأنها لم تعد تشعر بألم يدها ازاء الآلام الأخرى التي اعترتها. فاجأها لايل باهتمامه الذي أيقظ الرعب في أعماقها اذ قال:

ـ لا بد ان ألقي نظرة عليها فيما بعد.

وتساءلت كيف يمكنها ان تتحمل لمساته التي تصبح رقيقة عندما تدعو الحاجة. وتذكرت تضميد جرحها، ومداعباته موقظاً احاسيسها النشوة. وعادت للواقع وردّت:

ـ لا داعي لذلك.

أجابته معلنة رفضها، وهي تتحاشى النظر اليه وتابعت:

ـ سأريها للطبيب فور وصولي الى سياتل.

ـ انني متأكد انك ستفعلين، ولكنني أحب أن ألقي نظرة عليها.

اقترب منها، لكن سالي أخفضت يدها، ليتها تفهم لم يهتم بها الآن؟

وما ان انتهوا من طعام العشاء، حتى نظفوا الاطباق متحلقين مبتهجين بأنهم سيكونون قريباً من الأحرار. وعندما عاد لايل من البرج، لعبوا للمرة الأخيرة الورق، واحتسى الرجال القهوة، بينما احتست سالي قليلاً من الشراب اذ شعرت بتأثيره على صفاء

تفكيرها.

وسرت بانه عدو احساسها بطريقة لم تعرفها من قبل، كما خفف من حدة الألم الذي اعتصر صدرها. لكن الألم لم يفارقها وهي تتأمل أصابع لايل الطويلة، تلقي بأوراق اللعب وقد التقت نظراتهما اكثر من مرة، وتأكدت ان لايل يقرأ ما يجول بخاطرها.

نهضت وقالت:

- يكفيني هذا الحد. سأذهب الى فراشي. تابعوا اللعب ان اردتم، فالصوت لا يزعجني.

ثم تحركت باضطراب لا معهود، وما ان وقفت بالباب حتى استوقفها صوت لايل:

- لا تذهبي يا سالي يجب أن أرى جرح يدك.

- انها بخير (حركت يدها وأردفت) فعلا انها بخير.

وقف القبطان وقال:

- حسناً. قررا ماذا ستفعلان. أما أنا ونيلسن، فعلينا الاستعداد للقاء يوم مثير في الغد، وعلينا ان نستمتع بكل لحظة منه.

فردّ نيلسن:

- ماذا؟ (نظر نيلسن الى القبطان بارتباك، ثم لمحت عيناه مدركة ما عناه القبطان وأضاف) آه... نعم بالتأكيد سآتي معك يا قبطان.

تسمّرت قدما سالي عند الباب، بينما غادر نيلسن الغرفة يتبعه برادشو الذي غمز سالي، وكأنه يجيب على سهام الاتهام التي أطلقتها عيناها.

بدا المطبخ هادئاً بعد مغادرة الغريبين، وطغى على سالي احساس بالخوف، اذ اضطرت للبقاء مع لايل وحدهما، تناهى اليها صوت كرسيه وهو يبعده، وسمعت صوته الهادىء يمزق السكون الذي خيم عليهما:

- حسناً.

لم تتم كلمته اليتيمة هذه عن رغبته برؤية يدها، بل حملت اشارات كبيرة لم تشأ ولم ترغب سالي في مواجهتها، أو تفسيرها، فمدت له يدها قائلة:

- حسناً. تفضل.

٨ ـ لن يسيطر على حياتي

اقترب لايل من سالي، واحتضن يدها في راحتيه دون ان ينظر الى الجرح، وأخذ يتأملها بحرارة أزالت توترها. وفرغت سالي اهدابها، وهمست لنفسها: ان نظراته العميقة الجامدة هذه تخفي وراءها ألماً حاداً.

تنفست بصعوبة... فلن تنسى ابداً أن لايل لا يرحم عندما يقوم العلاقة التي بينهما على انها علاقة رجل بامرأة. نظرت الى اصابعه التي تحتضن كفها بلطف، وأدركت على الفور ان تلك اللمسة الخفيفة كفيلة بأن ترسل شرارة في اعصابها، وتهزها بثبات، وتخترق حجب ذهنها لتقرأ بفضول احساس سالي.

ـ ماذا حدث يا سالي؟ (رافق رنين صوته نغمات متألقة دوى

صداها في اعماقها، فمالت برأسها قليلا لترى وجهه النحيل بوضوح وهو يتابع) ألم يلمس الحب أوتار قلبينا؟

آه الحب... اجل لقد طرق الحب قلبها، ولن تجد تفسيراً آخر لمشاعرها نحو لايل. ولكن أيفسر هو مشاعره تجاهها مستعملاً كلمة الحب؟! وكيف يحبها وقلبه ينبض بحب روزالي زوجه الشقراء الفاتنة ذات الاسم الجميل؟

اجابت محاولة ان تصطنع الاتزان، وقد شعرت بتأثير الشراب يشق طريقه الى اعماقها:

ـ لا... انني احبك يا لايل... اما انت...

لكن لايل ترك يدها وهو يدمدم بقسمه المعتاد، وجذبها اليه فلامس ذقنه وجهها موقظاً لهيباً في اعماقها وأجاب:

ـ الا تثقين بحبي؟ آه يا سالي عندما بدأت... سالي الا تعلمين ما فعلت بي؟

رفع رأسه وحلق بها بعينين محمومتين تتفرسان في تقاطيع وجهها، ثم احاط وسطها بذراعيه، وألصقها به معبراً بالحركة اكثر مما يستطيع بالكلام.

ـ ولكنك يا لايل...

كادت تذكره بأنه متزوج امرأة يحبها، لكن انسجاماً عاطفياً اعتراها، وحطم مقاومتها، وزادها تمسكاً بصدره. لفهما عالم من الانسجام، وعاشت سالي لحظات تخلت فيها عما اعتراها من سخط وأوهام. آه... ما اروع الحب! اجل انها تحب لايل وتحن اليه، فهو تتويج لكل حلم ترعرع في اعماقها... ترى ايحبها هو ايضاً بهذا الصدق؟ اجل انه يحبها، ويرغب فيها... ولكن آه انه متزوج... وما ان طاردها شبح روزالي ثانية، حتى تلاشى حماسها وكأن ماء بارداً انصب عليها، فقالت:

ـ دعني لايل... انهض... ابتعد عني...

ـ ماذا؟! (أتى صوته بعيداً ثملاً.. وسألها ثانية) ماذا قلت؟

حاولت ان تدفع كتفيه بكل ما لديها من قوة وهي تشهق. . .

ـ دعني اذهب. . . لا اريد هذا. . . ارجوك دعني. . .

نهض لايل ولكنها لم تتأكد ان كان قد استجاب لصرخاتها المذعورة. ونظر اليها بعينين صفراوين سيطرتا عليها على الفور. حاولت سالي ان تستعيد توازنها لكنه قال:

ـ ان نساء مثلك يثرن سخطي. . .

ـ لايل. انا. . . رجاء لا. . . .

اعلنت ترجوه دون ان تعلم لم تفعل ذلك؟ تضرج وجهها بالخجل، وهرعت مسرعة من الغرفة وقد اعتراها ألم مفاجىء، ولاحقتها نظرات لايل المحتقرة.

مزق الصداع رأسها، ولم تعلم كيف تتصرف وهي تستلقي على سريرها. اخذت تحدق بالسقف بعينين جافتين، ثم سمعت صوت الباب الأمامي يصفع معلناً ذهاب لايل الى غرفته. ازدادت عيناها اتساعاً تملأهما الدهشة والمتعة معاً، وهي تصغي الى اصوات الأمواج المتكسرة على الصخور، وتنظر الى الأضواء الخافتة المتسللة الى غرفتها، والمنبعثة من البرج المشع باستمرار، تتوق شوقاً الى الغد بما يحمله من احداث مثيرة، مقتنعة انها لن تستمتع بما يحصل هنا مرة اخرى، فوق كومة هذه الصخور المتربعة وسط مياه المحيط.

استلقت على جانبها، وغطت رأسها بالأغطية التي لم تحل دون افكارها المضطربة. ان كل يوم مضى فوق هذه الجزيرة، حمل لها معه املاً بلقاء لايل مالئاً حياتها اشراقاً، ولو تخلل علاقتهما سوء تفاهم ما. كم ستفتقد هذا الأمل عند مغادرتها الجزيرة. ليتها لم تبحث في اوراقه، وتكتشف تلك الحقيقة المرة.

بزغ الفجر واعداً بنهار ربيعي الشمس. وعندما هبطت سالي السلم باتجاه المطبخ همست لنفسها: ما اجمل هذا اليوم يكاد المرء لا يصدق ان السماء الرمادية قد ارتدت حلة زرقاء بهية خلال ساعات، وتناثرت غيوم متطايرة بدلاً من الضباب الكثيف الذي هيمن على

السماء طوال الاسبوع الماضي.

وجدت القهوة ساخنة تنتظرها على المدفأة، كما اعيد ترتيب الغرفة وزودت المدفأة بالحطب على الرغم من ان الوقت ما زال مبكراً. صبت لنفسها قدحاً من القهوة، واتجهت لتجلس على الأريكة تنظر الى ارض المطبخ حيث تذكرت ما مر بها بالأمس مع لايل. بدا لها ان لايل تناول فطوره على الرغم من انه لم يترك اثراً يدل على ذلك. وما ادهش سالي كثيراً اهتمام لايل الكبير بترتيب المنزل الذي يفوق احياناً اهتمام اية سيدة تتقن عملها المنزلي خاصة في هذا العصر الذي تطالب المرأة فيه بالتحرر. ترى اتجد روزالي صعوبة في التكيف مع لايل؟ ام انها هي نفسها تطالب ايضاً بالتحرر المطلق. ترى ايتمتع كلاهما باستقلاله، كأنه اعزب، ويؤدي خدماته بنفسه دون ان يطلب شيئاً من الآخر، على الرغم من الرباط المقدس الذي جمعهما؟ ولكن اتروق مثل هذه الحياة للايل الذي يتمتع بطاقة وحيوية لا تشفي غليلها الا امرأة؟

تنهدت سالي بعمق، وقد فهمت لماذا يقيم لايل علاقات كثيرة مع نساء مختلفات، وأدركت انه ليس مقتنعاً بما تقدمه له زوجه، في حين يكتفي الكثير من الأزواج بعلاقاتهم المتبادلة ضمن اطر اسرهم.

ـ يا له من صباح جميل!

رفعت سالي رأسها مندهشة، عندما سمعت صوت القبطان، ولم تسمع خطواته على السلم. اصطنعت الابتسامة، وهرعت لتصب له قدحاً من القهوة وأجابت:

ـ لن تتأكد من جمال هذا الصباح، الا اذا تمكنا من مغادرة الجزيرة بعد ظهر اليوم.

قدمت له القهوة ثم صبت لنفسها المزيد، وجلست في كرسيها المعتاد فسألها:

ـ اما زلت تتوقين شوقاً للعودة؟

ـ طبعاً، ولم لا؟

هز بكتفيه وشرب قهوته.

ـ ظننت انك ولايل قد انهيتما ما بينكما من خلاف مساء الأمس، وان المياه عادت الى مجاريها بعد ذهابنا.

ـ لكن بعض الاختلافات لا يمكن تقويمها.

اجابته سالي بلهجة حادة دون متابعة المحادثة. تنهد القبطان وهو ينظر الى قهوته، فتابعت سالي الحديث عن عملها لتزيل الجمود الذي هيمن عليهما.

ـ هل تصدق اني لم انجز حتى الآن ما يتطلبه عملي، وقد مضى على اقامتي هنا اسبوع كامل. ارى ان الضوء كاف لالتقاط بعض الصور الآن، كما عليّ ان ادوّن بعض الملاحظات.

سألها وقد تحرك حاجباه الرماديان:

ـ وهل قمت بالتسجيل في البرج هذا الصباح؟

قطبت سالي جبينها اذ نسيت هذه المهمة تماما وأجابت:

ـ اعتقد ان لايل قد قام بذلك لأنه انهى كتابه. كنت اقوم بالتسجيل عندما كان مشغولاً به.

تابع القبطان حديثه:

ـ ان انجاز الكتاب لعمل رائع. كان علينا ان نحتفل بذلك ليلة الأمس.

شعرت سالي بغصة تقفز الى حلقها، آه... اتشاركهم الاحتفال بانهاء كتاب لايل المهدى الى زوجه التي لا تشعر بوجوده؟

ثم اردف:

ـ ربما اقام حفلة بهذه المناسبة عند عودته الى سياتل. ترى ايغادر لايل الجزيرة معنا اليوم وقد انهى كتابه؟

اجابته سالي ببرودة:

ـ لا اعلم.

لكنها استاءت من نفسها وهي تكلم القبطان بهذه الطريقة، فلا شأن له ابداً بما يؤلمها، فحاولت ان تغير طريقتها في الكلام معه

فقالت وهي تهب واقفة:

ـ سأهيء لنا طعام الافطار، وسيعد نيلسن طعامه متى صحا من نومه.

وبينما شغلت نفسها باعداد الطعام، عادت افكارها لصراعها المعتاد. لم يخطر بذهنها احتمال مغادرة لايل الجزيرة معهم على القارب ذاته. كم تتمنى ذلك من اعماقها. لقد انهى كتابه وليس له اي عذر في البقاء هنا على الصخور.

وبعد تناول الافطار، تأبطت آلات التصوير، ومضت الى البرج، حيث ارادت تصوير الآلات الموجودة في غرفة البرج على اختلاف انواعها.

دخلت الغرفة مندفعة، لكنها تراجعت عندما خرج لايل من خلف احدى الآلات، ونظر اليها ببرودة. وقسراً عنها، تعلقت عيناها بذقنه وشعره المصفف، ثم بتلك العينين اللتين رحبتا بها ببرودة. وسألها بفتور واحتقار:

ـ اتريدين شيئاً؟

اجابت، محاولة ان تشعره باهتمامها في العمل الذي قامت به لمدة اسبوع:

ـ اردت ان اتأكد انك تقوم بما يلزم من تسجيل هنا؟

اشار بيده الى الآلة بحركة تنم عن تهكمه وقال:

ـ كما تشاهدين، انني استطيع التكيف بلا مساعدتك.

نظر ملياً الى الآلة التي على كتفها وتابع:

ـ اتريدين شيئاً آخر؟

اطبقت اصابعها على شريط الآلة، وحاولت ان تبدو طبيعية وقالت:

ـ اجل اريد التقاط بعض الصور للآلات من اجل المقال.

ـ حسنا.

قاطعها، واتخذ وقفة سينمائية الى جانب الآلة، وفي عينيه مسحة

من السخرية وحملق بها قائلاً:

ـ اتروق لك هذه الوقفة؟

لم ترغب في التقاط صور للآلات معه. لكنها لم تعترض خشية ان يسيء فهم اعتراضها، ويفسره كما يحلو له. لا بأس قد يبدو المقال ذا تأثير اكبر على القراء لو ازدان بصور الأشخاص. استقر في وقفته، بينما هيأت سالي آلة التصوير. لكن قوة ملامحه لم تتغير حتى عندما انعكس ضوء الآلة على وجهه. ثبتت غطاء العدسة بسرعة، وهي تتوسل الى الله الا تظهر اية صورة له، لأن ذلك قد يسيء الى سمعتها كصحفية.

ـ اشكرك.

همست وهي تتجه الى السلم اللولبي، ثم نظرت الى الخلف وسألته:

ـ اتعود معنا الى سياتل؟

فأجابها، متسائلاً، دون ان ينم صوته عن حماس، سواء رغبت في قدومه ام لا:

ـ اوتريدينني ان افعل؟

اجابته باختصار وهي تهبط السلم:

ـ لا.

تبعها صوته متسائلاً، فوقفت ورفعت رأسها لتسمع ما يقول:

ـ استقضين عطلة عيد الميلاد مع والديك؟

ـ نعم بالطبع.

ـ وهذا ما سأفعله انا...

ـ الن تمضيه مع...

كادت تنطق بكلمة زوجك وسرعان ما منعها الألم الذي تعانيه، منذ اكتشافها تلك الحقيقة، منذ اثني عشرة ساعة مضت، وتابعت:

ـ اقصد مع اصدقائك؟

ـ لا، لن افعل.

ـ آه...

انزلقت يدها فتمسكت بقوة بالحاجز، وقد تطاير شعرها كالحرير وهي تنظر الى ما تبقى من السلم اللولبي امامها وهتفت:

ـ سأحزم حقائبي فقد حان موعد الرحيل.

ترددت قبل ان تتابع هبوط السلم، فقد توقعت ان يتابع كلامه اذ سرى في اعماقها امل كبير. لن يقضي لايل عطلة عيد الميلاد مع شخص معين. ترى ايعني ذلك انه انفصل عن زوجته روزالي؟ ترى هل انتهت علاقتهما؟

لم يتكلم لايل فتابعت طريقها بخطى خفيفة خفة الأمل الذي انبثق بين حناياها. ان روزالي لا تعني شيئاً له... قد يفسخ الزواج بسهولة تماماً كما عقد. انها حمقاء، ولا شك، لماذا لم تسأله عن زواجه وتتصرف وفقاً لجوابه؟ توقفت عند آخر السلم، وأخذت تنظر الى الأعلى، وعلى وجهها ابتسامة مترددة. فكرت بارتعاش وقد تزاحمت الأسئلة في مخيلتها وكأنها تحادثه:

ـ لماذا لا تخبرني يا لايل؟ لماذا لم تقل لي يا سالي انني احبك اكثر من زوجتي روزالي التي لا تشاركني حياتي. اتريد ان ابثك حبي قبل ان تكلمني عن زوجك التي لا تهمك؟.ولكنه لم يطرح مثل هذا الحوار معها... وكيف له وهو يعلم انها اكتشفت امر زواجه؟

عاودت هبوط ما تبقى من السلم تتعثر كالعمياء، وتتوق شوقاً الى ان تخرج من البرج. داعب النسيم اطراف شعرها، وحاولت ان تضغط على عينيها بيدها لتمنع رؤية تلك الأسطر التي تصدرت صفحة الاهداء:

«الى زوجي روزالي»

انها تجزم ان لايل يحب زوجته على الرغم من الأسباب التي دعت الى افتراقهما.

زاد اضطرابها وأنهكت اعصابها، وتوقفت دون حراك وما زالت تغطي عينيها براحتيها. انزلت يديها، وتابعت مسيرها نحو الصخور

وقد تقلص فكها بقوة. آه، لقد احرقت نفسها بلهب لايل هيمينغ كما فعلت الكثيرات من قبل. لكن تلك التجربة مع لايل اكسبتها خبرة مفيدة لن تكررها مع غيره.

استرعى انتباهها وشغلها الهدوء المهيمن على الجزيرة، كما تأثر القبطان برادشو به ايضاً. امتد الهدوء حتى ظهر ذاك اليوم حيث الى قارب النجاة يحمل على متنه جون هيمينغ وزوجه. لم تستطع ان تتحدث طويلاً الى جون اذ كان اللقاء قصيراً كما تنبأ لايل. لم يكن جون طويلاً كأخيه لايل، لكن ملامحهما اكدت رابطة الأخوة التي تجمعهما. نظرت لورنا ذات الشعر الأسود الى سالي نظرة مشبعة بالفضول وهي تضغط على يديها بحمية وسألتها:

ـ هل اعتنى بك لايل كما يجب؟

ردت سالي وهي تقف فوق المركب المتحرك، وتنظر الى آل هيمينغ وهم يودعونها:

ـ اجل.. لقد اعتنى بي كثيراً...

وتابعت تهمس في اعماقها: لقد احال حياتي الى جمود وطرد منها الأمل.

بدأ البخار يتصاعد من القارب وهو يحرك الماء بالقرب من الصخور، فسمعت لورنا تقول:

ـ ستشعرين انك بطلة عندما تصلين الى سياتل.

لكن القارب ابتعد قليلاً فلم تسمع سالي تتمة الحديث بل بعض الكلمات منه:

ـ لقد اخبرنا لايل انك...

ضاعت كلمات لورنا في غياهب المحيط، ولم تهتم سالي لمعرفة الأخبار التي نقلها لايل لأخيه عبر هاتف المحطة. لكنها لم تجزم ان الخبر الذي احتفظ به لايل لنفسه هو انه اغوى فتاة تدعى سالي براون.

وصل القارب، والتف الصحفيون ومعهم عدسات التلفاز

المحلية حوله، وجرى لقاء قصير مع سالي، شقت بعده طريقها الى منزلها.

دخلت سالي شقتها في سياتل فبدت لها صغيرة ضيقة، فضحكت من اعماقها وهي تخطو الى المطبخ كي تملأ ابريق الماء. ترى أيوجد مكان على الأرض يصلح لأن يكون سجناً اكثر من تلك الصخور المتربعة وسط البحر؟ سيطر عليها هذا الخاطر وهي تنزع عنها سروالها الجينز بعد ان قضت طوال النهار به لترتدي ثوباً حريرياً جميلاً.

جلست مسترخية في كرسي منجد اخضر، وأسندت رأسها عليه بالقرب من نافذة غرفة الجلوس متجاهلة قدح القهوة الى يسارها، وهي تتذكر ما قالته لورنا لها عند مغادرتها الجزيرة.

لم تمزح لورنا عندما اخبرتها انها ستشعر بشعور الأبطال عندما تصل الى سياتل.

نظرت الى ساعة يدها التي اشارت الى السادسة مساء، ومضت تدير مفتاح التلفاز كي ترى النشرة الاخبارية. نقل المذيع اخباراً عن حرب العصابات في مختلف انحاء العالم، فتجاهلتها لأن آلامها من وجهة نظر انانية، تفوق آلام الأمة اجمعية. نظرت الى الشاشة الصغيرة حيث اخذ المذيع يتابع: اضراب مهدد يمارسه الأساتذة، حريق في دار للحضانة لم يسفر عن اصابات في الأرواح. لكن كلمات المذيع جذبت اهتمامها كلية، عندما رأت وجهها يتصدر الشاشة الصغيرة وقد بدا غريباً جداً من خلالها اذ ظهرت عيناها ضخمتين بالنسبة لشعرها المتموج المتطاير بتأثير الهواء الذي عبث به خلال طريق العودة على القارب من جزيرة روك. بدا صوتها غريباً وهي تجيب على اسئلة المذيع المتعددة ومنها:

ـ كيف بدا لك السجن طوال اسبوع كامل فوق الجزيرة؟ وما هو شعورك وأنت تقضين تلك المدة مع الأستاذ الجامعي لايل هيمينغ؟ لقد ذهبت لالتقاط معلومات وصور حول موضوعك المتسلسل عن المنارات فكيف اشتركت في ادارة المنارة؟ لقد ساعدت في ادارة المنارة

كي ينهي الأستاذ لايل هيمينغ تأليف كتابه، أيتعلق هذا الكتاب بأطروحته؟

لكن اجوبتها المتلعثمة قطعت اذ اتجهت عدسة التصوير الى القبطان برادشو ونيلسن وقد ظهرا على الشاشة كما هما. لم يدل القبطان برادشو بكثير من المعلومات الا ان الله لخسارة رجاله كان مؤثراً جداً. اما نيلسن فقد احاط بذراعه امرأة ذات شعر احمر اتت للقائه، وارتسمت التكشيرة المعهودة على وجهه، وصرح ان هذه هي اسعد لحظة في حياته.

نهضت سالي لتدير مفتاح التلفاز، لكنها تجمدت في مكانها اذ قال المذيع بلهجة حماسية . . . لقد جاء هذا الخبر الآن. ان الأستاذ لايل هيمينغ قد انهى مؤلفه الذي اعتكف من اجله فوق جزيرة روك، ويسرني ان اعلمكم انكم ستقرؤون تقريراً عنه في مجلة «اليوم والأمس المصورة»، حررته سالي براون. والآن استودعكم الله، والى اللقاء في النشرة المقبلة.

لم تميّز سالي ما سمعته بعد ذلك، بل ادارت مفتاح التلفاز بأصابع قاسية. عادت الى كرسيها وكأنها محاطة بأطياف لا تعرف اسماءها.

ترى ماذا صرح نيلسن للتلفاز، لا بد انه علق عن كتاب لايل! اعادت في مخيلتها جلستها مع القبطان برادشو، ونيلسن، وتذكرت انها لم تصحح المعلومات الخاطئة التي ادلت بها لهما من ان لايل يكتب تحت اسم مستعار هو جون اينسلاي مؤلف الروايات البوليسية الشهيرة؟ آه، كيف نسيت ان تخبرهما ان لايل يكتب باسمه الحقيقي، ويهدي كتابه الى زوجه روزالي. شدت اصابعها بعصبية على ياقة ثوبها حتى ابيض معصمها. سيظن لايل انها اذاعت ذلك النبأ، ولن يسيء الظن بنيلسن، لأنها هي التي انتقدت غير مرة انتاجه الأدبي الموجه للجماهير. شعرت بالألم يعتصرها، ولاح امامها طيف لايل بكفيه المطبقين بعصبية وبعينيه ذات النظرات القاسية. آه، لن يغفر لايل لها ذلك ولو مرت ملايين السنين.

استوت في جلستها، ولامس شعرها ظهر الكرسي. حسنا لا يوجد تلفاز في جزيرة روك، ولن يعرف لايل بما حدث. مضت الى الثلاجة تتفقد محتوياتها وما زالت تفكر به. لم تخش ان تزعج لايل بأقاويلها؟ الم يسبب لها المزيد من الآلام؟ الم يتمتع بصحبتها المؤقتة ليعود بعدئذ الى زوجه؟

دارت عجلة الزمن، ومضى اسبوعان على عودتها. دخل ديف الى مكتبها وقال وهو يضع امامها صوراً مصقولة لامعة:

- ستصبحين مصورة ماهرة يا سالي. اتحاولين ان تحلي مكاني في العمل؟

- لا على وجه التحديد.

امسكت سالي الصور بيدها، وهي ترغب في رؤية اللقطات التي اخذتها لجزيرة روك، لكنها تخشى ذلك في الوقت ذاته، كيلا تجذبها الصور ثانية الى تلك الجزيرة وسكانها. آه، لقد حاولت ان تبعد ذكرى لايل عن ذهنها، واستطاعت تحقيق ذلك، خلال اوقات العمل التي خدرت احساسها، وخلال ايام العطلة التي سبقت عيد الميلاد.

لكن مرارة الذكرى كثيراً ما عاودتها ليلاً عندما يأبى الكرى ان يداعب جفنيها، تتقلب والأرق يقض مضجعها كأنها على فراش من شوك سواء في منزلها الخاص ام في غرفتها الخاصة في بيت والدها، التي شغلتها من جديد لقضاء عطلة العيد مع والديها.

لاحظت امها شرودها، والهالات التي تحيط بعينيها، وتلاشي حيويتها على الرغم من انخراط الأم في حياتها الفنية والمهنية التي تحول دون هذه الاهتمامات العائلية الى حد ما. سألتها امها يوماً، وهما تجلسان في المطبخ بعد قضاء ليلة الميلاد:

- انني واثقة يا سالي من دخول رجل في حياتك؟

وانبثق من عينيها حنين لا ينبعث الا من عيني ام. وتمنت سالي ان تتمسك بهذه اللحظة التي اشعرتها بقرب والدتها منها، على الرغم من

ان كلتيهما تعيشان حياة مستقلة، لكن دخول والدها الى المطبخ حال دون ذلك، اذ خاطب سالي مستفسراً عن رغبتها في الذهاب معه، في رحلة، كعادتها عندما كانت صغيرة.

ـ ما رأيك في ان ترافقيني لنقطع خيوط العنكبوت؟

نظرت سالي الى امها قبل ان تدلي بموافقتها، ورأت في عيني امها تفهماً لا تفهمه الا امرأة مثلها، وشعرت ان كتف امها يغريها ان ترتمي عليه لتفضي اليها بأحزانها. لكن الفرصة فاتت من يدها الآن. ترى اتفهم والدتها معنى هذا الحب اليائس الذي لا يعد حياة ابنتها بالاشراق. ان حب والدتها لوالدها كان واضحاً وحراً، فلم تواجه والدتها اية متاعب مع حبيبها كما تواجه سالي الآن. انها واثقة من ان امها ستهتم بقصة حبها، لكنها لن تقدر الحب الذي تكنه ابنتها لرجل مرتبط بحب زوجه.

رافقت والدها في رحلته، وفي اليوم التالي اتى جيري ليعيدها الى المدينة بعد ان تناول الغداء مع والديها. ودعها الوالدان لكن امها همست وهي تعانقها:

ـ الحبيب جيري يا سالي؟

اخذت سالي تعيد على مسامعها كلمات والدتها وهي تجلس صامتة الى جانب جيري في طريق العودة. ليس جيري حبيبها، ولن يكون يوماً. فلم يستطع يوماً ان يزيد من ضربات نبضها، أو يزيد من تدفق الدماء في شرايينها، وهل استطاع ذلك اي رجل آخر سوى لايل؟

آه... تنبهت ان شرودها قد طال عندما حرك ديف الصور امامها. فامسكتها بأصابع مرتجفة وبهدوء، نظرت اليها عفوياً، وهي تتنهد بارتياح عندما طالعتها أولاً، صورة القبطان ونيلسن صاحب التكشيرة العريضة، وقد وقفا امام المنزل الرئيسي. ألقت نظرة سريعة على بقية الصور لكن للألم لا شعورياً خالجها عندما نظرت الى احداها، وأيقنت ان ديف على حق فاللقطات ممتازة؛ اذ ظهرت غرفة

البرج بكل تفاصيلها حتى لايل نفسه كاد ان يتكلم. حدقت في وجهه بهدوء ثم تذكرت، بسرعة، كل جزء من ملامحه. كادت نظرة عينيه الصفراوين تنبض على الورق اللامع وهما تنظران اليها بسُخرية. لكنه لم يسخر منها ذاك الصباح عندما التقطت الصور، بل نظر اليها ببرودة ممزوجة بغضب.

تنهدت وجمعت الصور مع بعضها البعض. الا يستوجب الأمر ان تغضب هي منه؟ لقد بدل مجرى حياتها عندما طلب اليها الزواج، لا بل عندما اكتشفت امر روزالي. ترى هل تلوم كبرياءها التي سببت لها هذه الآلام؟ وأبت ان تستسلم لاستغلال لايل لها، كما استغل الكثيرات كتعويض عن الزوج التي يحبها. تصلبت ذقنها، وامتلأت نفسها ارادة وتصميماً، وقالت لنفسها: ليذهب لايل هيمينغ، وكل انسان فظ مثله، الى الجحيم. انني لا احتاج اليه، ولن ادعه يسيطر على حياتي الى الأبد.

٩- أنت دنياي

جلس جيري في مكتب سالي متكئاً على منضدة خاصة بالملفات ونظر اليها، مشجعاً، وقال:

- ان موضوعك عن الحاكم رائع يا سالي. أخبرني الحاكم انه يوكل اليك كتابة عدة مسلسلات، تتناولين، في كل منها، حياة حاكم، مر على احدى الولايات. فما رأيك؟

هزت سالي بكتفيها دون حماس، فلاحظت الانزعاج على ملامح جيري، وقالت:

- حسناً سأفعل. ان كان ذلك ما تطلبه مني.

- انك يا سالي تدركين تماماً ما أريد منك (نظر اليها متأملاً، فالتقت نظراته بنظرات عينيها الخضراوين وتابع بهدوء) ماذا حدث

لك يا سالي؟ لقد تغيرت كثيراً خاصة بعد مطاردتك لتلك الجزيرة الصخرية.

حركت رأسها مدافعة عن نفسها ثم أفصحت ببرودة:

- ألم يلق مقالي عن الجزيرة تجاوباً كبيراً من القراء؟

- أعلم انك كاتبة قديرة، وهذا واضح من طلب الحاكم (قال مترددا) أنا لا أتكلم عن اخلاصك المهني، بل عن أمور شخصية، فلقد أصبحت بعيدة عني، كأن احداً سلبك مني منذ متابعتك لذلك العمل في المنارة؟

- لكنني لم أشعر يوماً ما انني لك، أو قريبة منك؟

تجاهلت عقدة جبينه، ورفعت سماعة الهاتف مجيبة رنينه وقالت تخاطب جيري:

- لك مكالمة من جينستار للصناعة. أتريد ان تتكلم من هنا؟

تلاشت الملامح العاطفية من وجهه، وهب واقفاً:

- لا، سأتكلم من مكتبي، فالمواد الخاصة بالاعلان هناك.

لاحقت نظرات سالي قامته وهو يخرج من الغرفة، بعد ان طلبت من عاملة الهاتف تحويل المكالمة الى مكتبه، وأخذت تحدق في الباب وهي تجلس في كرسيها.

عادت بذاكرتها الى تجارب، حدثت منذ خمسة أشهر، زادت من خبرتها في هذه الحياة، فبدا لها بقاؤها على جزيرة روك طوال أسبوع كامل امراً لا يصدق. وتذكرت ما حدث تلك الليلة في المطبخ، كأن ما حدث كان بالأمس فقط. فتحركت عواطفها نحو لايل وشعرت بشوق اليه. ان هذه الذكرى تثير سروراً وغبطة حين تراودها ليلاً، اما عندما تعترضها أثناء ساعات العمل، فان الألم والندم يحزان في نفسها. كم تمنت لو انها لم تخض مثل تلك التجارب. لقد أمضت تلك الفترة باضطراب وحزن.

وما ان بدأ فصل الشتاء يقترب، وتفتحت أزهار الخلنج الزهرية، وأزهار النرجس الأصفر، حتى أخذ ألمها بالتلاشي مع مرور الأيام.

وبدأت تنتصر على أحزانها وعلى ذكرى لايل. فلم تعد تتخيله او تتمنى رؤيته ولو مصادفة. اذ غدت جزيرة روك حلماً مر في حياتها تتذكره كلما نظرت الى الندبة التي تركها الفأس بين ابهامها وسبابتها.

وبينما كانت مستغرقة في ذكرياتها، أطل بت جينسون برأسه الى غرفتها، فرفرت سالي عينيها، ثم استجاب لتكشيرة علت وجهه، وقال، وهو يقف بعيداً عن مكتبها:

- تبدين غارقة في أفكارك أليس كذلك؟

ضحكت سالي:

- تقريباً. هل لي ان اساعدك يا بت؟

جلس بت على الكرسي الذي يقابل كرسيها فهمست في سرها: لماذا تتجاهل مفاتن أولئك الشباب الذين يحاولون خرق الجدار الذي تحيط مشاعرها به دون جدوى؟ لقد حاول جيري دوماً ان يثير انتباهها، ويجعل لنفسه أهمية في حياتها. كما حاول بت ان يستغل وجوده في المجلة خلال شهرين، ويحطم ذاك الحاجز الذي لم يحرك ثباته.

نظرت الى شعر بت ذي اللون الرملي، ثم الى عينيه الزرقاوين الضاحكتين المتوحشتين، وشفتيه المكتنزتين. ترى هل أفسدها لايل بطريقة أهلتها لمعاشرة اي رجل آخر؟

ضحك وأجاب:

- انك تستطيعين، ولكنك لا ترغبين في مساعدتي. لقد عهد الي جيري بموضوع من أجل العدد المقبل للمجلة. هل لي ان أستفيد من خبرتك؟

سرت سالي من طلبه على الرغم من ان خبرتها ما زالت ضئيلة وقالت:

- حسناً. وما الموضوع؟

- سيقام مساء الغد حفل تكريم لكاتب محلي، وأتساءل عما اذا كان بامكانك اقتراح بعض الأسئلة التي تصلح للنشر. انني أرغب في

ان أقف الى جوار المراسلين الصحفيين (حرك يده بجدية) لكنك تعلمين ان ما نكتبه يقرأ اليوم، وليس في الغد، لكن الناس يهتمون بمجلتنا.

ابتسمت سالي وهي تمسك بقلم أصفر تقلبه بين أصابعها وقالت:

- لا أظن ان مجلتنا تروق لجميع الناس، كما يحرك جيري، خاصة عندما يتعلق الموضوع بكاتب محلي كتب عدة أبيات من الشعر. اخبرني ما تريد، وسأفكر ببعض الأسئلة غير المألوفة.

حدق بت بها غير مصدق وقال:

- ألم تسمعي بذلك الكاتب؟ أين أنت يا سالي؟ انني لا أكتب عن سيدة عجوز تكتب الشعر في أوقات فراغها. ان كتاب هذا المؤلف أصبح منشوراً في كل الدول ومعظم النوادي المهتمة بالكتب.

فقالت بلهجة لاذعة، محاولة ان تذكره بغاية المجلة:

- ان مهمة هذه المجلة ان تربط الماضي بالحاضر. لا أن تستعرض نجاح كاتب معين في الفترة الراهنة.

- ان لهذا المؤلف ماضياً عريقاً محلياً. فقد تعرفينه ان أخبرتك باسمه فهو أستاذ في الجامعة. أتعرفين الأستاذ لايل هيمينغ؟

هددت أصابعها القلم بالكسر، وأبيض معصمها. لايل! يا الهي لماذا لم يخطر اسمه في ذهنها؟ لقد تحاشت قراءة الموضوعات الأدبية والتعليق عليها لأنها لم تشأ ان تتذكر شيئاً يمت لأي أديب بصلة، وهي تحاول ان تتجاوز تلك المرحلة الحرجة من حياتها. وأجابت وهي تشعر بالوهن، وعدم التركيز، لكن نظرات بت الحائرة نبهتها الى غرابة تصرفها:

- أنا... اجل انني أعرفه بالطبع، لكنه لم يكن أستاذي يوماً.

وسرعان ما شعرت بأن لسانها سيزل، فبللت شفتيها الجافتين وقالت:

- الأجدر بك ان تسأل زوجه لتحصل على معلومات عميقة وصحيحة عنه.

ـ سالي هل جننت؟ لا أصدق هذا (ازدادت دهشة بت وتايم) ألا تعلمين ان هذا الكاتب المشهور يدور حول زوجه. لقد اكتشف بعد زواجه واستقراره في اوريغون ان زوجه مصابة بداء لا يشفى. فلم يتخل عنها، بل أحاطها بحنانه حتى انتقلت الى رحمة الله منذ ثلاث سنوات. سالي! هل أنت بخير؟

ارتطم القلم بأصابعها، وشعرت باختفاء لون وجنتيها، ورددت في أعماقها كلمات بت (اعتنى بها حتى انتقلت الى رحمة الله). دوّت تلك الكلمات بعنف في أذنيها ونظرت الى بت، الذي لم يفهم شيئاً، وهي تهمس روزالي. آه روزالي. . .

عندما زال شرودها، طلبت من بت ان يصطحبها في الغد لحضور الحفل التكريمي، لكنه خشي ان تجري هي المقابلة مع لايل، فحاول ان يعتذر منها بلطف، فبددت مخاوفه، وأكدت له انها ستذهب كمدعوة فقط.

لم يجد بدأ من الموافقة اذ شعر باصرارها على الذهاب.

كان الوقت مبكراً عندما وصلا الى الفندق. تلكأت سالي في الدخول اذ سرت قشعريرة في جسمها عندما سمعت ضحكات مهذبة صادرة عن المدعوين في الداخل.

مشى بت بجسمه الممتلىء الى جانبها، ودخلا بهو الفندق حيث اتجها الى الصالة المخصصة لمثل هذه المناسبات. اضمحل حماسها، وهمست مخاطبة بت وسط الأصوات الصاخبة وهي تضع يدها على سترته الرمادية:

ـ تقدم يا بت انه عملك، وسأختبىء أنا هنا خلف هذه النخلة.

لكنه أجاب معترضاً:

ـ لاداعي لذلك.

لكن سالي ابتعدت عنه تشق طريقها بين الجموع الى زاوية منعزلة، وعيناها تتفحصان كل رجل تماثل قامته قامة لايل. مر بها الخادم مرتدياً سترة بيضاء يحمل صينية وضعت عليها أقداح

مشروبات مختلفة، وبلا تفكير أخذت كأساً، وبدأت باحتسائه، عندما استقرت في مخبئها، وبريق أخضر يشع من مقلتيها اللتين تبحثان عن الرجل الذي أتت خصوصاً لتراه، ومع ذلك، فانها تخشاه.

وفجأة خفت حدة اضطرابها. لن تتاح لها الفرصة لتبادل الكلام وسط هذا الحشد، ولن يتاح لها الوقت للاعتذار له. يجب ان تكلمه على انفراد كأن تذهب الى منزله. لكن كبرياءها رفضت هذه الفكرة فربما صفع الباب في وجهها؟ أو انه تجاهلها؟ لا لن تتحمل مثل هذه الصدمة. ترى أتتحمل هذا الاذلال المدمر وهي تختفي هنا؟

سخرت من كبريائها التي سببت لها هذه الآلام. لماذا تتمتع بأخلاق فاضلة دفعتها للانسحاب من حياته عندما علمت بزواجه؟ لماذا لم يحدثها عن روزالي؟ ربما لم تتح له الفرصة لذلك، بعد قدوم برادشو ونيلسن.

لقد أخطأت في حقه. لماذا أطلقت الأحكام عليه جزافاً؟ ولماذا سخرت من انتاجه الأدبي؟ ما شأنها ان كان يكتب تحت اسم جون اينسلاي أم لايل هيمينغ. ألا ترحب الملايين بكتابه؟ انها تستحق توبيخ لايل الموجه اليها: «على انها متكبرة».

أدركت عند قراءتها كتاب لايل مساء الأمس انه ذو قيمة تفوق المتعة. حتى انها ذرفت دموعاً غزيرة. لقد تجلى اخلاص لايل لزوجه بشكل واضح، وأحاطها بحبه وعطفه محاولاً ان يغني حياتها بشتى الطرق حتى فارقت الحياة. لم يبد ذلك غريباً على سالي. . . ألم تشعر باخلاصه واهتمامه عندما احتاجت اليه في تضميد جراحها، ونظرت لاشعورياً الى جرح يدها الملتئم.

وعندما رفعت رأسها مرة أخرى لتنظر الى الجمهور من مخبئها، شعرت بوجود لايل. لا بد انه دخل من الباب الذي وقفت بجانبه، وتخيلت كيف وقف معتداً بنفسه، واثقاً بها وهو يقف قرب سعف النخل الموجودة الى يسار سالي. خطت بحركة آلية، واختبأت خلف

النخلة، وعيناها تلاحقان لايل باهتمام خاص، وأنفاسها تتهدج.

بدا لايل رائعاً أنيقاً بسترته السوداء وقميصه الأبيض المتناسب مع لون بشرته السمراء. نظرت الى قامته النحيلة المألوفة لديها، ومع ذلك شعرت ببعد في تصرفه، راقبته بفضول عندما استدار ليتكلم مع سيدة شقراء وقفت الى جانبه تبتسم. آه انها ماجدة. لن تنسى ملامح تلك المرأة فقد شاهدتها معه تلك الليلة في النادي. انها براقة فاتنة وهي تتبادل البسمات الساحرة مع لايل.

شدها من ذهولها صوت رجل يقول:

ـ هل أصابك مكروه يا سيدتي؟ دعيني أقدم لك كوباً آخر من الشراب.

رفعت سالي رأسها وهي تشعر بدوار خفيف، فرأت أمامها وجه الخادم الجامد، ثم نظرت الى الكوب الذي كادت أصابعها المطبقة على أسفله ان تحطمه. وبذهول وضعت كأسها على الصينية، وأمسكت بالكأس التي قدمها لها وقالت:

ـ أشكرك.

جذبها لايل كما يفعل المنوم المغناطيسي، كان محاطاً بالصحفيين ومن فيهم بت، ينهالون عليه بالأسئلة. سمعت سالي صوت لايل العميق، وضحكاته المهذبة وهو يجيب على الأسئلة، فخرجت من محنتها في اللحظة ذاتها التي تقدم بت يعرفه بنفسه:

ـ انني من مجلة «اليوم والأمس المصورة» يا دكتور هيمينغ، كما أحب ان...

لكن لايل سأله مقاطعاً:

ـ مندوب أية مجلة؟

أعاد بت اسم مجلته، فرفرفت سالي عينيها بعصبية، فمما لا شك فيه ان لايل تذكرها، لكن صوته الأجش ينم عن كراهيته لها. لم تسمع سؤال بت الموجه الى لايل اذ ازداد الدوار، وشعرت انها تترنح، وساقاها لا تقويان على حملها، وسيغمى عليها. آه يا

الهي... ليس هنا...

تقدمت خطوة الى الأمام فشعرت انها لا تستطيع ان تبعد الجموع المحتشدة عن طريقها، وتراقص كل شيء أمامها، وما لبثت ان سقطت على الأرض.

لم تعلم ما حدث... وعندما عادت الى وعيها، شعرت بظلام دامس يحيط بها، وتيقنت انها تجلس في سيارة أحدهم. قاد السائق السيارة صامتاً، وحاولت هي جاهدة ان تستوي في جلستها، فرأت تحت أنوار الشوارع المتلألئة الشخص الذي يقود السيارة... انه لايل...

سألته، وقد آلمتها عضلات رقبتها عندما نظرت اليه:

ـ الى أين ستمضي بي؟

ـ ستكتشفين ذلك بعد قليل.

بدا وجهه قاسياً كلهجته، فقالت بألم:

ـ اتركني يا لايل أريد العودة الى منزلي.

دار اليها بعنف ويداه تسيطران على عجلة القيادة وهو يدخل كاراج أحد الأبنية الفخمة:

ـ لن أتركك الا عندما أشعر ان الوقت قد حان لذلك.

شعرت سالي ان جسمها لين، وعظامها مسحوقة، عندما أوقف لايل السيارة. فتح لها الباب وأمسك بها، بل كاد يحملها وقد ارتفع طرف ثوبها الحريري ذي اللون الموزي. وقف لايل أمام البوابة يبحث عن مفاتيحه في جيبه، فرأت سالي سلماً مغطى بالسجاد الأحمر. ثم بحث لايل عن مفاتيح أخرى، فاختلطت الأمور على سالي عندما وضعها فوق أرائك فاخرة، وسرت لمرأى السجاد الكموني اللون.

قال لايل بتهذيب:

ـ امكثي هنا ريثما أحضر لك بعض القهوة.

وفجأة لمست حقيقة الموقف. يا الهي انها تجلس هنا في شقة لايل.

انهمرت دموعها بغزارة، وهي تتفحص الأريكة الجلدية التي وضعها لايل عليها، ثم أخذت تجيل الطرف في انحاء الغرفة، تتأمل المكتبة المزدانة بالكتب، ومكتب لايل البني تحت النافذة، والمدفأة وقد أحيطت ببعض الصخور المزينة.

سمع لايل همستها: «يا الهي»، فأعادها ثانية على مسامعها وهو يدخل الغرفة بهدوء، محضراً القهوة. صب القهوة في فنجانين جميلين وقال:

ـ اشربي قليلا من القهوة، وستشعرين بالتحسن الفوري.

اتكأت على كوعها وتكلمت باتزان وصفاء ذهن:

ـ أنظن ان قليلا من الشراب أصابني بالاغماء.

ـ اذن ما الذي أصابك؟ (لكن سؤالا يفوق هذا السؤال أهمية زاحم أفكار لايل فهمس) لماذا أتيت الى ذاك الحفل يحق السماء؟

ـ أنا...

أدركت تماماً ان شوقها لرؤية لايل هو الذي دفعها للذهاب لتمتع ناظريها بقده المياس المألوف لديها. لكنها لا تستطيع قول ذلك له. فهمست:

ـ هل لك ان توقد المدفأة؟

تنهد، ثم أوقد المدفأة، فبدأت ألسنة اللهب تتصاعد محتضنة قطع الحطب.

وما ان بدأ الحطب يصدر صوتاً في الغرفة، حتى حلّ الهدوء على سالي. لماذا تخشى ان تعتذر عن خطأ ارتكبته؟

ولمَ تعترف؟ والاعتراف بالخطأ لا اهمية له في مجرى الأحداث ولاسيما في عالم يتحكم به القضاء والقدر.

قالت ببطء، والسرور يغمرها، لأن لايل يقف بعيداً عنها:

ـ لقد أتيت الى الحفل لأعرب عن أسفي.

لم تسمع أية همسة في الغرفة سوى زمجرة الحطب... وبعد قليل همس لايل يتهليب:

ـ ولمَ الأسف؟

ـ **لأنني تصرفت بتكبر كما قلت. وأخطأت تقويم كتابك؟**

ـ لو كان كتاباً جامعياً لما أثار هذه الضجة؟

خطا مقترباً منها، وشرر أصفر يتطاير من عينيه، وانحنى فوقها يقول:

ـ اذن، عندما اكتشفت انني لست جون اينسلاي، وأن كتابي لاقى هذه الضجة، أصبحت انساناً لائقاً بنظرك؟

ـ لا... (حاولت ان تجد الجواب الشافي بين تلافيف دماغها المضطربة) لا لم يكن هذا ما يهمني حقيقة... (تطاير بريق أخضر من عينيها عانق شرر عينيه الأصفر وتابعت) لماذا لم تخبرني عن روزالي؟ ظننت انني احببت رجلا متزوجاً، ما زال يحب زوجه.

وتدفقت الكلمات التي حبستها طويلا في أعماقها، كتدفق الجداول وتابعت:

ـ لقد ظننت انني استطيع ان أتناسى الفتيات اللواتي مررن بحياتك، اذ لم تطلب الى احداهن الزواج أليس كذلك؟ (نظرت اليه بيأس متأملة ان يفهم ما تقول وتابعت) لقد أحببتك لكنني عندما نظرت الى اهداء الكتاب تلك الليلة في جزيرة روك، شعرت انك تمضي أوقاتك معي كما أمضيتها مع غيري حتى تحين العودة الى أحضان زوجك.

نظر اليها تلك النظرة التي أيقظت احساسها، فشعرت بضيق في حبالها الصوتية، منعت الكلام من تدفقه ثانية.

لكنه سألها:

ـ ماذا قلت؟

نظرت اليه يائسة، وشعرت بالغضب اذ لم يستمع لايل الى حديثها.

ـ دعني انهض...

لم تجد حذاءها، فتأكدت ان لايل سحبه من قدمها ربما أثناء

الاخيرة عليها. وقفت فوق السجادة السميكة، فبدت أقصر من
المعتاد بالنسبة للايل، وصدر عنها أنين، ممزوج بحنين، عندما
تسللت يد لايل حول خصرها وضمها اليه.

وقال بلهجة آمرة:

- قولي ذلك مرة أخرى!
- ماذا أقول... (سألته باضطراب) لا أستطيع ان أعيد كل ما
قلت يا لايل.
- لا تعيدي حديثك بأكمله. قولي كلمة واحدة فقط.
- لا أفهم ما تقصد يا لايل؟

فقال مصراً وقد زاد بريق عينيه:

- قلت انك تحبينني وأحببتني قبل ان تعلمي بأمر روزالي.

داعب فمه اسم روزالي بشكل كاد يقضي على ما بقي من حبها.
لكنها هذه المرة، وعلى العكس شعرت بحبها العميق الدفين،
وقالت:

- انها ليست موجودة الآن أليس كذلك؟
- لا... (واقترب منها هامساً)... انها امرأة عرفتها، وأحببتها
منذ زمن طويل جداً. ولقد احتاجت الي في مرحلة حرجة من حياتها.
- وانني احتاج اليك الآن ايضا...

عانقها بحب فهمست:

- لقد فهمت الآن لمَ أطلق عليك لقب دون جوان كلية الآداب.
كم فتاة أحضرت الى شقتك؟
- ولا واحدة (مسح شعرها براحته) لقد كنت أبحث عن فتاة
مثلك، لأكون أول حب في حياتها.
- وماذا عن ماجدة؟
- وهل تغارين منها؟
- بجنون.

داعب وجنتيها بلطف، وقال:

- لا داعي لذلك. فان ماجدة مرت بمرحلة صعبة مع زوجها
هوارد زميلي في الكلية. ان ماجدة تحبه بجنون، ولم تنظر الى أحد
سواه بمن فيهم أنا.
- عظيم. اذ كان عليَّ ان ألقنها درساً لو حامت حولك.

فقال بصوت أبح:

- لن تتعرضي لمثل هذه المواقف يا حبيبتي. فأنتِ دنياي يا
حلوتي.